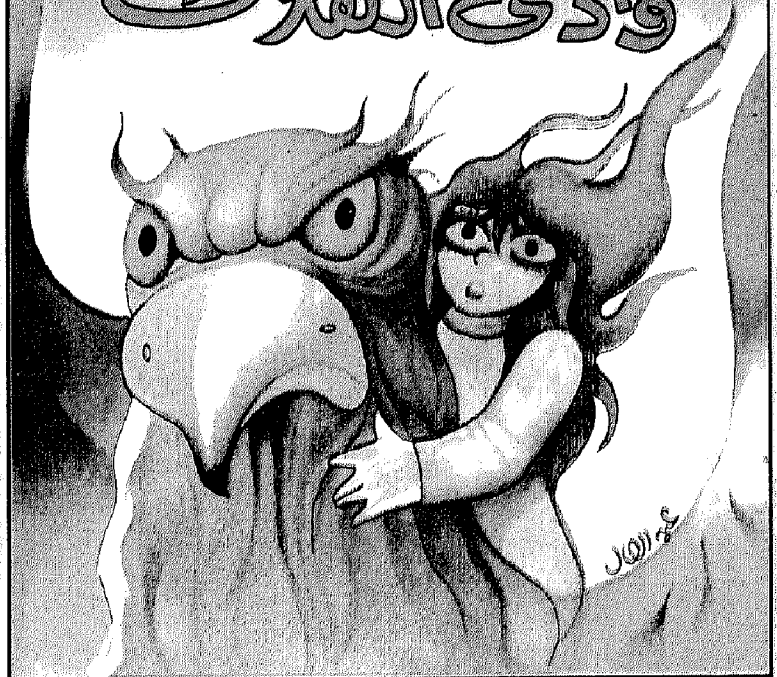


خيال
خيال

الهرب من
وادي الهلاك



محمود قاسم

دار الشروق

المزبوعين
وادي الملوك

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

أسسها محمد المعتمد عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيديو المصطفى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص.ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

خیال × خیال

الغروب من وادی القلک

تألیف : محمود قاسم

دار الشروق

(١)

وكان كل شيء يسير على هوى « الشبح الأزرق » . .
راحت الألوان الداكنة تلمع في ملابسه ، كأنها تعبر عن فرحة
عارمة تتأبه . لم يكن ينقصه في تلك الساعة سوى أن يغنى . رغم
أن البهجة ممنوعة تماما على مملكته الواسعة التى يسيطر عليها .
ود أن يقيم فرحا . بل أن يتخلص من اللون الأزرق الذى
يسيطر على الأماكن التى يتولى قيادتها . دليلا على ما يغمره من
فرحة وسعادة .

يا إلهى . إذا كان « الشبح الأزرق » سعيدا ، فهذا يعنى
بلاشك أن هناك مصيبة ستحدث ، أو حدثت فى مكان ما . وأن
الكارثة قد حلت بالناس . .
ترى ماذا حدث ؟

إنه سعيد . . وكلما زادت سعادته ، بدت الكارثة أشد . . ردد
وهو ينظر إلى صورته تلمع فى المرآة الداكنة :

-رائع . . سوف يحل عليهم الغضب . . سوف أفرح . .
وسرعان ما ظهرت فرحته على الشاشة التى يتجسد عليها

كلامه . وكان السؤال :
- ترى ماذا هناك حقا ؟

(٢)

إنها مدينة « الراحة » . . تعيش في هذا الحال منذ عدة أيام . .
ويا له من حال لايسر عدوا ولا حبيبا . .
هل يتصور أحد أن مثل هذه المدينة يمكن ان تحل بها هذه
الكارثة ؟ إنها من أروع المدن في كل الدنيا . مدينة صغيرة مثالية ،
يعيش سكانها في سعادة منذ سنوات طويلة ، لدرجة أن الناس
كادت أن تنسى وجودها على الخريطة . .
إذن ، فالأمر جسيم ، بل وبالعجاسمة . .
إنهم خمسة آلاف نسمة لا أكثر ، عدد سكان المدينة الواسعة .
لقد قرروا منذ فترة ألا يزيد عددهم . إيماننا بأن السعادة ليست في
الكثرة ، بل في أن تعيش القلة على الخيرات التي منحهم الله إياها
في جميع المجالات . .
ولأن زيادة شخص واحد فقط يمكن أن تغير الموازين ، وتجعل
موارد المدينة تقل ، فقد كان هناك شبه اتفاق بتنظيم عدد سكان
المدينة . .

وهكذا عاشوا ، في ارتياح شديد ، كل ما يطلبه الإنسان

المعاصر موجود ، كأنها مدينة فاضلة ، ولذا فلا جرائم قتل من أى نوع . ولا حوادث مثيرة . . ولماذا الجرائم وأسبابها غير موجودة . ؟
وبالتالى ، نسى الناس من قواميسهم كل مانعرفه نحن الذين نسكن خارج هذه المدينة من تعبيرات عن المغامرات ، والآمال ، والطموح . .

كأنها مدينة نموذجية ، يعمل فيها كل شىء وفق نظام دقيق ، ولم يكن هناك مايؤرق الناس . .

لذا انعدمت الأخبار الجديدة . . وفقدت الصحف أهميتها ؛ فليست هناك أخبار عن رجال سياسة ، أو الحوادث المثيرة ، أو عن زيادة الأسعار . ولذا فهى المدينة الوحيدة فى عالمنا التى توقفت فيها نشرات الأخبار منذ سنوات طويلة . .

لكن ، شيئاً ما ، جاء يهب على المدينة ، كأنه يود أن يعصف بها وبسكانها .

(٣)

اجتمع المجلس الأعلى لمدينة الحكايات هذا الصباح اجتماعه التقليدى ، الذى يعقد صباح يوم السبت لمناقشة بعض الأمور العادية ، ولمعرفة إلى أى مدى تسير أمور المغامرين من أبناء المدينة فى أماكن عديدة من العالم .

وفجأة أثناء الاجتماع ، فجر رجل عجوز من أبناء المدينة سؤالا غريبا ، حين قال :

- هل تصدقون أن هناك مدينة لاتتعامل قط معنا . . ؟
تنبه «حكيم المدينة» إلى أهمية مايقوله العجوز ، فلاشك أن مايطرحه بالغ الإثارة . سأله :
- ماذا تقصد . . ؟

هنا تدخل سندباد قائلا :
- هل تقصد مدينة « الراحة » ؟
وسرعان ماضحك الحاضرون من هذا الاسم الغريب ، فهل هناك مدينة بهذا الاسم على الخريطة ؟ ، هز العجوز رأسه بالإيجاب . هنا قال سندباد :
- إنها مدينة غريبة ، أنتم تعرفون يا أخوان أنني سافرت إلى كل مدن العالم القديم والحديث ، لكن هذه مدينة غريبة ، فأهلها لايجبون القصص ولا الحكايات . .

قال «حكيم المدينة» :
- وبالتالي فهم لايعرفون سندباد ، ولا جمحا ، ولا علاء الدين ، أو على بابا .

تدخلت أم الغولة بكل حماس :

- ولا أم الغولة . .
ضحك العجوز مؤكدا : ولا أم الغولة . . ولا الفارس النادر .
ضمت أم الغولة فكيها بقوة ، وكأنها فى حالة غيظ ، وقالت :
- آه . . يا ويلهم . . سوف أذهب إليهم !!
تدخل عنتره : ولماذا . . دعيهم فى حالهم . . فنحن حيث
نذهب تولد المتاعب . .
هنا طرق العجوز على مائدة أمامه ، وكأنه يؤكد أن هذا هو
ما يقصده . . فهذه المدينة لاتتعامل مع الحكايات ، فهى تضم
الأشرار ، إلى جانب الطيبين ، ولا شك أن سكان المدينة يودون أن
يرتاحوا من أى متاعب . .
فجأة ، لمع ضوء أخضر ، على المنضدة التى يجلس أمامها
«حكيم المدينة» ، راح ينظر إليها باهتمام وسرعان ما فهم الإشارة .
فنظر إلى مجلس إدارة مدينة الحكايات ، قائلا :
- «الشبح الأزرق» مبتهج . . وهذا مؤشر خطير . . ويجب أن
نتصرف . .

(٤)

بدأت الحوادث المثيرة ذات صباح ، حينمارمى أحد المواطنين
بجهاز كومبيوتر متطور من شرفته فسقط فى الشارع وتحطم إلى عدة
قطع . .

هذا الأمر أزعج المواطنين في مدينة « الراحة » . . ولأول مرة منذ سنوات طويلة ، يذاع خبر في برامج محطات التلفزيون . . وجلس المشاهدون يتلقون الخبر بدهشة ، وسعوا إلى معرفة المزيد . فلماذا فكر مواطن في أن يفعل هذا . . هل هو مجنون ؟
وقف المواطن أمام المذيعة الحسنة ، وقال بهدوء شديد :
- لا ، ، لست مجنونا . . أنا عاقل جدا . . لكنني وجدت أن الكمبيوتر شيء غير مفيد .

سألته المذيعة : ماذا تقصد بالضبط . ؟
نظر الرجل إلى الكاميرا ، وبدا كأنه يسأل المواطنين :
- هل سأل أحد منكم نفسه ، هل الأشياء التي حولنا مفيدة أم لا . . هل يمكن أن نعيش بدونها . . المقعد الذي نجلس عليه مثلا . . هل ينتهى العالم لو جلسنا فوق الأرض مثلا . . ؟
وأحس بعض المواطنين أن هذا الرجل يتكلم بطريقة منطقية جدا . وتساءلوا عن فائدة الأشياء التي أصبحت أساسية في حياتهم .

ولم يمض سوى يومين ، إلا وأصبح موضوع « المفيد » و« غير المفيد » حديث الناس في كل مكان . وتكون فريق أطلق على نفسه « التخلص من الأضرار » ، راح يوزع منشوراته على الناس بأن كل

تلك الأجهزة المتطورة التى تملكها المدينة قد أضرت بالناس أكثر مما أفادتها ، وأنها علمتهم كيف يكونون كسالى ، لا يعملون ، ولا يفكرون فى غدهم ، وأنهم يعيشون فى حالة تواكل ، وقد افتقدوا بذلك بعض الأمور الهامة ، مثل المشاعر الفياضة ، وضمرت أشياء هامة لدى البعض مثل الطموح ، والرغبة فى الأفضل .

وسرعان ما وجدت هذه الأفكار صدى لدى بعض الناس . فبدءوا يتخلصون من أشياء كانوا يتصورونها مهمة ، ومنها السيارات ووسائل المواصلات الأخرى ، وراحوا يجربون المشى على الأقدام ، وانتشرت فى المدينة دعوة فريق « التخلص من الأضرار » وشوهد الكثير من الناس يمشون فى الشوارع بعد أن أهملوا سياراتهم . وقال البعض للآخر :

- أحس كأن عضلات جسمى قد عادت للحياة مرة أخرى . .
أما الفريق الآخر ، فقد رأى أن الله أنعم على البشر بالعقل ، وبواسطة هذا العقل ، أمكنهم التوصل إلى كل هذا التطور . وأنه من الأفضل الاستفادة منها . .

وبدأت المدينة تشهد أحداثا جسيمة . . خاصة أن الفريق الأول وجد أن عليه أن يحطم كل السيارات فى المدينة من أجل أن تعم فائدة المشى .

ومن هنا بدأت المواجهة . .

(٥)

ولذا كان « الشيخ الأزرق » سعيدا . .

فقد رأى أن مياه الشر قد تحركت في المدينة . وسرعان ما أصدر أوامره أن ينزل الرجال إلى مدينة « الراحة » كى يثيروا الفتن بين الفريقين المتنافسين ، أو فلنقل المتصارعين . ونجح رجاله فى أن يندسوا بين الناس ، ينقلون إليهم أخبار الفريق الآخر . ويزيدون كلاما ، وأحداثا ، فزادت الفتنة .

ولم يلتفت الناس إلى خطورة ما يحدث . .

ولأول مرة لم ينتبهوا أن بينهم قوما غرباء ولم يتبينوا ملامحهم . ونجحت خطة « الشيخ الأزرق » ، فسرعان ما قام أعضاء فريق بالهجوم على الفريق الآخر ، بحجة أنه يجب أن يمثل له . .

فطالما أن الفريق الأول يرى أن التكنولوجيا قد أضرت بالناس ولم تعد بذات فائدة فإن هذا الأمر لا يقتصر على المناصرين فقط لأعضاء هذا الفريق بل أيضا لكل أبناء المدينة .

وذات مساء ، همس واحد من أبناء « المدينة الزرقاء » فى أذن رجل من الفريق الأول :

— ولماذا لا تتخلصون من السيارات . . كى تتسع الشوارع

أكثر . . . وتعم « فائدة » المشى . . ؟

وبدت الفكرة وجيهة للغاية . . وفي صباح اليوم التالي فوجئ سكان المدينة بأن كل السيارات على اختلاف أشكالها قد اختفت . .

لم يعرف أحد أين ذهبت السيارات . قيل إن شخصا من أنصار الفريق الأول جاء بمغناطيس عملاق في منتصف الليل والتقط السيارات الواحدة تلو الأخرى . ثم وضعها في قفص ضخم اختفت إلى الأبد . .

وتناثرت الحكايات . ولم يعرف أحد الحقيقة . . وبدأ الغضب يعم المدينة . وأحس أعضاء الفريق الثانى بأن المنافسين كانوا وراء اختفاء السيارات ، فقررروا أن ينتظروهم في الصباح وهم يقومون بالمشى في مجموعات .

وبدت المدينة كأن أبناءها على حافة مواجهة ساخنة فيما بينهم . .

وفي تلك الليلة ، وقبل المواجهة الحاسمة ، ظهر في المدينة رجل عجوز .

(٦)

وقررت مدينة الحكايات أن ترسل أحد مواطنيها إلى مدينة
«الراحة» . .

فقد تسربت الأنباء المزعجة إلى «مدينة الحكايات» ، بأن
«الشيخ الأزرق» قد توصل بشره إلى هذه المدينة الآمنة ، وأراد أن
يرمى ببذوره هناك لتحدث مواجهة بين أهل المدينة . إنها مواجهة
دامية .

حين وصل العجوز إلى المدينة كان كل شيء ينذر بشر لا حدود
له . فقد قرر أعضاء الفريق الثاني أن يستخدم كل ماله من
أسلحة متطورة لهزيمة الفريق الأول . .

ولأن الأسلحة النارية محرمة تماما في هذه المدينة ، فإن أعضاء
الفريق الثاني قرروا أن يحشدوا أسلحة أشد فتكا ، وليست نارية . .
بدأت المدينة غريبة الشكل ، فقد عمتها الظلمة حيث قام
أعضاء الفريق الأول الذى لا يرى أى فائدة في منجزات العلوم
بإطفاء الأضواء فى مساكنهم ، وفى الشوارع التى يسكنونها بحجة أن
الناس يمكنها أن تعيش بدون إضاءة مثلما كان يفعل الأجداد .

بدأت مدينة «الراحة» فى تلك الساعة كأن أشباحا تسكنها ،
وكان هناك أشخاصا يترصدون بآخرين ، وينتظرون أن يخرجوا من



أجل التخلص منهم .

ولذا كان من الغريب أن يقوم رجل عجوز لا حول له ولا قوة بالتجول في شوارع المدينة ، إنه يضع على كتفه مخلاة بيضاء ، وكأنه غريب يبحث عن مكان يبيت فيه . .

ولأن مدينة « الراحة » لم تعرف رجال الشرطة منذ فترة طويلة ، فإن الجميع قد قرر البقاء في منزله في انتظار المواجهة الدامية الحاسمة . وكأن كل شخص يتربص أن يتخلص من خصمه ، الفريق الأول الذى يهدف إلى التخلص من كل منجزات الحضارة ، والتكنولوجيا كى يعيش بشكل طبيعى ، بحجة أن التكنولوجيا قد أفست الناس وقتلت فيهم أشياء جميلة . أما الفريق الثانى فيرى أن عليهم الاحتفاظ بالمنجزات التى حققها البشر طوال آلاف السنوات ، وأن المثالية التى عاشت فيها المدينة فى السنوات الأخيرة ليست سوى نتاج لمنجزات الإنسان .

بدا أفراد كل طرف متشبثين بأفكارهم . . وراح قلب العجوز يدق وكأنه قرر أن يفعل شيئا . . يحسم به هذه المعركة . .

(٧)

جاءت صرخة « الشبح الأزرق » حادة ، وظهرت كلماته على الشاشة المعلقة على صدره :

- آه . . لقد فعلها هذا العنيد . . لقد تعلم منى . . سوف اريه . .

إنها المرة الأولى في حكايات الفنتازيا إذن . . لكن ترى ماذا حدث حقا . . ؟

لم تستطع مدينة « الراحة » أن تستيقظ في صباح يوم المواجهة الحاسمة . . وكيف لها أن تستيقظ ولم تعد مدينة بالمرة . . بل أصبحت مجرد مكان بدائي تعيش فيه مجموعة من الأشخاص حياة تدعو إلى الرثاء . .

عندما استيقظ سكان مدينة « الراحة » سابقا ، علت الدهشة وجوه الجميع ، فقد فوجئ الجميع أنهم راقدون فوق رمال وعلى مقربة منهم كهوف حجرية . صباح من صباح :
- يا إلهي . . ماذا حدث . . ؟

لم يكن هناك وقت للدهشة ، ولا للمفاجأة ، ولا حتى لفعل أى شيء ، فلاشك أن ما حدث اغرب من الخيال . لقد اختفت المدينة بكل ما بها من دلائل حضارة وتقدم ، اختفت المصانع والبيوت والأجهزة الحديثة والتكنولوجيا والملابس الفاخرة . . وكل شيء له علاقة بالتطور ، حتى صنابير المياه لم تعد موجودة ، واكتشف الناس أنهم فى مأزق حقيقى . فلا هم بقادرين

على ممارسة حياتهم العادية ولا بعارفين كيف يتصرفون . .

صاحت طفلة صغيرة :

- أريد كوب اللبن . .

وهتف رجل عجوز : أريد أن أحلق ذقنى . .

وودت إحدى ربات البيوت أن تفتح التليفزيون لتشاهد برامج

الصباح الجذابة ، لكن أحدا لم يستطع أن ينفذ ما يود .

كان السؤال الذى أطلقه الجميع معا هو :

- ترى ماذا حدث ؟

كان عليهم أن ينتظروا حتى يفيقوا من الصدمة التى أصابتهم ،

فلاشك أن هذه هى المرة الأولى من نوعها .

لكن وقت الانتظار طال . . وكان عليهم أن يشعروا بأن

الكارثة قد حلت بأشنع صورها وأنهم قد عادوا إلى الشكل

البدائى . بدون أى مظاهر للحياة المتطورة . وأن هذه الكارثة سوف

تؤدى بهم إلى نتائج أكثر سوءا . .

قال أحدهم مهددا :

- إنها مؤامرة . . ولن نسكت عليها . .

(٨)

فوجئ أهل «مدينة الحكايات» بالعجوز يعود مرة أخرى ،

حاملا مخلته البيضاء على كتفه ، وكان ظهوره غريبا في تلك اللحظات بالذات فسرعان ماجأت الأخبار عن مدينة «المتاعب» الراحة سابقا التى أصابتها الكارثة ، وضاعت منها كل مظاهر الحضارة والتكنولوجيا .

استوقف على بابا «العجوز وسأله» :

- ماذا تفعل هنا . . المدينة فى كارثة . . ؟

نظر إليه العجوز نظرة خالية من المعنى وهز رأسه بلا مبالاة وقال : إنهم يستحقون ، فهم لم يقدرُوا قيمة ما وهبهم الله من نعمة . واستوقفته أيضا « ست الحسن » وسألته :

- هل صحيح أن النساء فقدت ملابسها الأنيقة . . ؟

هز العجوز رأسه بلا مبالاة وتوجه إلى قصر حكيم مدينة الحكايات الذى فوجئ به يدخل عليه . عاجله الرجل قائلا :

- هل عرفت . . لقد سرق خصمك المدينة ؟

وهنا ألقى العجوز بالمفاجأة الكبرى ، حين قال :

- بل أنا الذى فعلت ذلك . .

وبرقت عينا « حكيم » مدينة الحكايات وهو لا يصدق ما يسمعه ، فمن المعروف أن هذا العجوز ينسلخ ويتحول إلى فارس بالغ القوة وشديد المراس ، حين يضطر أن يطارد «الشبح الأزرق» ،

خصمه اللدود ، كى يستعيد المعانى الكبرى التى يسرقها من
المدن . مثلما حدث فى أكثر من مغامرة . . استعد الرجل وقال :

- ليس فى مدينة الحكايات لصوص . .

وسرعان ما فهم «العجوز» ما يقصده الرجل لذا قال :

- اطمئن ليس هناك لصوص فى مدينة الحكايات . .

بدا كأنه يطمئنه أنه لم يقم بسرقة التكنولوجيا من المدينة ، وهى
عبارة عن تطبيقات العلوم ، نظر إليه كأنه يستفهم ماذا يقصد
بالضبط . قال العجوز :

- لقد وصلت المدينة إلى حد كانت ستدمر فيه كل شىء . . إنه

جنون استبد بالناس ، الذين لم ينتبهوا إلى أهمية مآلديهم . .

وراح يشرح له أن الحرب المنتظرة بين الأطراف المتصارعة كانت
ستدمر كل منجزات الحضارة ، وأنه قد تدخل لا ليأخذ
التكنولوجيا ويقوم بإخفائها . بل ليمنع إسالة الدماء وما أغلى دماء
البشر . .

سأل «حكيم المدينة» : حسنا فعلت . . لكن أين خبأتها ؟ . .

وكان الجواب غريبا وغامضا . .

(٩)

استبد الغيظ بالشبح الأزرق حاكم المدينة الزرقاء ، عندما عرف أن العجوز قد سبقه وسلب مدينة « المتاعب » - الراحة سابقا - مالدورها من تطور وتكنولوجيا ، وقرر أن يثبت مكانته . صرخ وجاءت صرخته على شكل كلمات مسطرة على الشاشة الموجودة على صدره :

— سوف أيدهم جميعا . . سأقتلهم . . أنا أعرف أن هذا يضايق أبناء «مدينة الحكايات» .

وأصدر أمره بتشكيل جيش ضخيم من الجنود الزرق وأن يتسلحوا بكل مالدورهم من أسلحة متطورة يمكنهم بها الاستيلاء على سكان «مدينة المتاعب» ويتخذون منهم أسرى ويحولونهم إلى عبيد عليهم أن يصبحوا مواطنين صالحين في المدينة الزرقاء .

بدت الأحداث وكأنها فرصة رائعة للشبح الأزرق أن يحقق ما يريد ومايعتمل في صدره من شر . سأل رئيس أركانها المسلحة :

— أخبرنى . . كم لديكم من الجنود الزرق الآن ؟

رد رئيس الأركان المعروف باسم «الداكن» :

— ليس لدينا سوى خمسين جنديا أزرق . .

بدا الأمر كأنه الصاعقة نزلت على «الشبح الأزرق» . تساءل :

- وأين الباقون . . ؟

وعرف الإجابة ، فالمدينة الزرقاء قد أرسلت الكثير من مواطنيها إلى بقاع متفرقة من المدن من أجل أن يثيروا المتاعب بين الناس فيتحاربون ويتقاتلون وتنتشر رسالة المدينة الزرقاء الشريرة . .

أحس « الشبح الأزرق » بالحيرة ، فترى ماذا يفعل ؟ هل يستدعى رجاله من مهامهم كي يشكل بهم جيشه القوي للسيطرة على مدينة « المتاعب » ؟

أحس بالتحدي وأنه يجب أن يستولى على المدينة المنكوبة بأي ثمن ، وركبه العند ، وقال لرئيس أركان حربه :

- أخبرني كم يوما أمامك كي تجمعهم . .

رد الرجل : أربعة أيام . .

تنهد « الشبح الأزرق » وقال مغتاظا :

- إذن ، أمامنا خمسة أيام كي نسيطر تماما على مدينة « المتاعب »

حسنا . . استدع رجالك فأمامنا مهمة عظيمة . .

(١٠)

وكان على العجوز أن يعود ثانية إلى مدينة « المتاعب » ، وعلى وجه السرعة . بعد أن أحس بخطورة مايمكن أن يحدث في المدينة .

فسرعان ماتسربت الأخبار إلى « مدينة الحكايات » عما ينوى ،

«الشبح الأزرق» أن يفعله ، وأنه قد صدرت الأوامر إلى كل الجنود الزرق بسرعة العودة إلى مدينتهم من أجل تكوين الجيش الاحتياطي للاستيلاء على مدينة « المتاعب » .

ولم يكن هناك وقت للتفكير . بل للعمل .
ووسط الدهشة التى أصابتهم ، فوجئ أهالى مدينة « المتاعب »
بالعجوز يظهر بينهم ، كان يرتدى ملابسه العادية التى يظهر بها عادة فى شوارع المدن .

وعندما ظهر كان الناس قد استوعبوا الكارثة التى حلت بهم
لكن المشكلة أنهم أحسوا بفداحة الأمر ، كل الأطراف معا ، وشعروا
أن الأمر قد يكون سهلا على أى كائن لم يتذوق طعم الحضارة
لكنهم عرفوا متعة الحياة مع منجزات التكنولوجيا والحضارة ، ولذا
فليس من السهل أن يتأقلموا مع هذا الوضع الجديد .
قال أحدهم :

- هل تعرفون كم نحتاج كى نعود إلى الأمس . . ؟
ردت إحدى النساء الشهيرات : نحتاج إلى ثلاثين قرنا على الأقل . .

بدت كأنها تسد عليهم أى أمل . راحت المرأة تذكرهم بها جنت
أبيديهم ، وقالت إن البشرية قد اجتهدت طوال ثلاثين قرنا من أجل

أن تصل إلى هذه المكانة ، وإن الحضارة الحديثة لم تكن وليدة حضارة دون أخرى ، فعندما توصل إنسان إلى شيء « مفيد » للبشرية ، فإن كل البشر يستفيدون منه .

قال مواطن آخر : لماذا لانستورد الحضارة من المدن المجاورة ؟
وسرعان ما جاء الرد :

- لا . . فالكارثة من نصيبكم وحدكم . . وعليكم استعادتها بأنفسكم . .

. ولم يكن المتكلم سوى رجل عجوز . بدت لهجته غريبة في ذلك الاجتماع البدائي الذي عقده أبناء المدينة فوق ربوة صخرية قاحلة . تحت قيظ الشمس الحارة . . نظروا إليه وقد علت الدهشة العيون . ولكن البعض أحس بارتياح لشكله . . لذا سأله أحد الحاضرين :
- هل تعرف الطريق . . ؟

وتطلعت العيون إليه في قلق وهي تنتظر الإجابة . .

(١١)

قال العجوز :

- الطريق صعب ، وشروطه قاسية . .

بدا كأنه يفتح مسلكا ويسد طريقا بهذه الكلمات . لكن سيدة

قالت :

- هل هو أصعب من حياتنا الآن . .
قال العجوز، كأنه يملأ قلوبهم بالهلع والحسرة :
- ليست حياتكم قاسية الآن . . بل ستكون بالغة القسوة في
الأيام القادمة .

سأل أحد الرجال في عصبية : هل تواسينا أم تلومنا ؟
فجأة قاطعته إحدى السيدات : لكن أخبرنا من أنت
بالضبط ؟

ابتسم العجوز، ولم يتكلم راح ينظر إليهم بعينين هادئتين وكأنه
يرثى لأحوالهم ، ساد اللغظ بين الناس . وشيئا فشيئا عم الهدوء
كان عليهم أن يسمحوا لهذا الغريب بان يتكلم فأسلويه يبعث
على الثقة والارتياح في الكلام .

ما إن ساد السكون حتى قال كأنه قد بدأ يتملك زمام الأمور :
- علينا أن نعرف خطورة ما ينتظرنا . . كي نتعلم التضحية من
أجل الغد . .

كان يتحدث بنبرة غريبة . إنه يتكلم كأنه من سكان المدينة
المنكوبة . ورغم الخوف الذي يحاول أن يبثه في قلوبهم ، فإنه يضع
أملا في حل المشكلة . . قال أحد أبناء المدينة :

- هل سننتظر طويلا . . قرونا من الزمان مثلا . . ؟

قال العجوز : لو انتظرنا أكثر من خمسة أيام فستضعف حدة الكارثة . .

وارتعدت القلوب . وكأنها تنتظر الحل . فلاشك أن خمسة أيام عمر قصير للغاية في حياة الأمم . وهم الذين يتوقعون أن ينتظروا وأحفادهم قرونا طويلة ، هنا صاحبت إحدى السيدات :
- أنا مستعدة للتضحية . . أن أموت في سبيل وطني . .

إنها امرأة من أنصار الفريق الثاني ، في تلك اللحظات قال رجل من الفريق الأول :
- وأنا . . مستعد للتضحية . .

قال العجوز : لن نضحى بأنفسنا . . بل بفلذات أكبادنا . .
وارتجفت القلوب . فالصغار الذين يقصدهم هم المستقبل ، والأمل . فهل يضحون بهم من أجل إنقاذ الموقف ؟ يالها من مخاطرة !!

(١٢)

قال العجوز :

- لن ينقذ المدينة سوى أبناء المستقبل . . حتى يتذكروا هذه الأماسة ، ويتعلموا منها ويعلموها لأبنائهم . .
لم يكن هناك وقت للتردد والتراجع . فأمام حجم هذه الكارثة

المنتظرة ، راح الأهالى يفكرون فى أن يفعلوا شيئا لم يعرفوا كيف ستكون التضحية ، لكن كان على الآباء من الفريقين أن يختاروا أربعة من خيرة الصبية كى يمارسوا لعبة التضحية . وبدأت منافسات من نوع جديد .

منافسات بين أبناء الفريق الواحد . بل بين أبناء المدينة التى تكاثفت ونسيت أمسها المؤلم ، وأيضا بين الصبية والبنات من أجل أن يدخلوا لعبة التضحية . . وبدا أنه من الشرف أن ينضم الأبناء إلى اللعبة الخطرة المنتظرة . .

وأمام المنافسة الشديدة بين الأهالى ، وأيضا بين الصغار، ولأن الوقت لايتسع لضياعه تم إجراء قرعة سريعة وقع فيها الاختيار على أربعة من الصبية والبنات الذين عليهم أن يدخلوا مصيرهم المجهول بنفس راضية . .

وأعلنت الأسماء : رانيا وشهيرة وحازم وفادى .

أقبل العجوز نحوهم وهو يتسم ، بينما دقت القلوب رجفة ، فهل هؤلاء الصغار يتظرهم مصير مجهول ؟ هل سيصبحون قربانا من أجل انتهاء الكارثة . لذا كان من الغريب أن يتسم العجوز وهو يقول :

- هل أنتم مستعدون لأقوى مغامرة فى العالم ؟

ردت رانيا : ماذا تقصد ؟

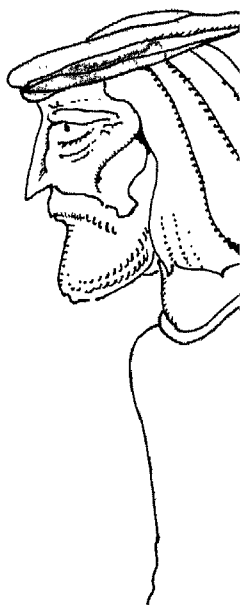
بدت كلماته غريبة ، فأبناء مدينة « المتاعب » الراحة سابقا ،
لا يعرفون ماذا تعنى المغامرة . تصورها أحدهم شيئا خطيرا ، أما
شهيرة فقد تصورت أنها لعبة اليكترونية ستعود إليها من جديد .
قالت إحدى السيدات : بلادنا مسحت كلمة « المغامرة » من
قواميسها منذ سنوات طويلة .

رد العجوز :

— إذن ، دعوهم لى . . سنجتاز المخاطر الكبرى . .
وستمتع كثيرا . وأتمنى أن نعود سالمين . .
وبدت الحسرة فى الوجوه . فهذا العجوز يشكك فى أن يعود
الصغار من جديد ، ترى ماذا هناك بالضبط . ؟

(١٣)

كان العجوز هو الشخص الوحيد الذى يعرف أين اختبأت
مكونات الحضارة التى تنشرت فى خمسة أماكن سرية بعيدة ،
لا يعرف طريقها أحد سواه . ولن يعيدها أحد ، أيضا سواه . .
ورغم المخاطر التى لأمثل لها ، فإنه مستعد أن يصلح من غلطته
باختطافه الحضارة والتكنولوجيا . وإطلاق سراحها كى تعود إلى
أماكنها التى جاءت منها .



إنها هناك فى أماكن بعيدة . متناثرة . . ومن الصعب تجميعها
ثانية . . فهذه الأشياء الغالية قد تراكمت لدى البشر من ألوف
السنين ، الواحدة منها تلو الأخرى . ببطء شديد فى أول الأمر . .
ثم زادت سرعة اكتشافها ، وفى القرن العشرين ارتفعت نسبة
السرعة لدرجة أن الناس أطلقوا عليه اسم قرن التكنولوجيا .

لذا فعندما اختفت لم يكن يتصور ان تجميعها سيكون من
دروب المستحيل . . إنها هناك مبعثرة فى وديان تفصلها مسافات
شاسعة مليئة بالمخاطر . .

ولحسن الحظ فإنه يعرف الطريق إلى أول واد . وادى الأحجار
المقدسة إنه مكان بعيد ، لكن من السهل بالنسبة له أن يصل .
هاهو الخوف لايزال يسيطر على الأصدقاء الأربعة الذين
سيرافقون العجوز فى رحلته المثيرة . فلا أحد يعرف ماذا تعنى
الأشياء التى ينطق بها ، خاصة حين قال :

— اسمعوا يا أصدقائى . . لا تنزعجوا حين تروننى وقد
انسلخت . .

بدت كلماته غريبة ، فماذا يعنى بالضبط . . وكى يهون عليهم
الأمر قال :

— أقصد عندما أتغير . .

وخارج مدينة « المتاعب » بدأت الرحلة . لم يكن أمامه سوى استخدام البساط الاليكترونى الذى يسابق الرياح العاتية ، ويقطع المسافات الطويلة فى أقصر الأزمنة .

وما إن طار البساط فى الجو حتى ملأت الحسرة قلوب الركابين عندما رأوا شكل المدينة من الجو ، وقد تحولت إلى كهوف حجرية كان يعرف أن عليه أن يعود قبل خمسة أيام من أجل مواجهة «الجيش الأزرق» الذى لايمكن لشئ أن يصده سوى الإيوان والتطور والتكنولوجيا .

ولذا ، تولدت الرغبة قوية فى ان يتحقق هدف الرحلة . وانطلق البساط بسرعة هائلة نحو اللازمان واللامكان ، إلى حيث بلاد الفنتازيا المثيرة المليئة بالألوان المثيرة التى لم يسبق لبشر أن رآها . والتى تخفى ، وراءها مغامرات أكثر إثارة من الخيال . .

(١٤)

إنها حرب حقيقية ولكن من نوع غريب . .
فسرعان ما صدرت الأوامر العليا لأبناء «مدينة الحكايات» ان ينتشروا فى المدن من أجل عرقلة عملية تجميع الجيش الأزرق ، وأصبح أمام كل مواطن من هذه المدينة مهمة مقدسة ، هى أن يمنع تماما أعضاء «الجيش الأزرق» من العودة إلى بلادهم . .

انتشرت الأخبار عن طريق المندوبين السريين بين مدينة الحكايات والمدينة الزرقاء . . وعلم «الشبح الأزرق» بما تنويه مدينة الحكايات ، فأصدر أمره إلى رجاله بالتخلص فورا من أى مواطن من هذه المدينة يشاهد فى أى مكان فى العالم . . فى كل المدن والقرى والكفور . .

وبدا كأن أول حرب من نوعها سوف تندلع بين المدينتين الكبيرتين . .

وأحس « الشبح الأزرق» أن عليه تغيير خططه تماما . وأن يستولى على المدينة المنكوبة بأسرع وقت وبأساليب مغايرة . . فقال لرئيس أركان حربه :

- لقد قررت أن أنتقم منهم بالتكنولوجيا الضائعة . . سأعيدها إليهم . . ولكن هل تعرف ماذا سأعيد؟ سأعيد لهم تكنولوجيا الدمار . . القنابل النووية والأسلحة الكيميائية . .

ظهرت كلماته على الشاشة كأنها حروف النار تندلع . وتندفع وأخيرا ضحك ، كانت فقهته غريبة ، ورغم ذلك ابتسم رئيس الأركان .

ياله من شرير فعلا! لقد قرر أن يطارد العجوز من أجل أن يمنعه من إحضار كافة رموز التكنولوجيا المتناثرة هنا وهناك فهو

الوحيد الذى يعرف الطريق . . وكان فى نيته أن يحضر فقط الضار
من التكنولوجيا ، لالاستولى بها فقط على المدينة المنكوبة . . بل
وليجعل العالم كله فى نفس الحال . يحارب بعضه ويسعى إلى
الدمار .

وأمر بأن يخرج جنوده الخمسون الباقون فى المدينة معه . إنهم من
حرسه الخاص ويعرف انهم لا يرفعون سلاحا ، إلا وحولوا المعركة
التي يدخلونها إلى دمار حقيقى .
وبدأت المعركة المثيرة . .

(١٥)

تعتمد العجوز أن يجعل الصغار يعيشون فى جو حالم ، مليئ
بالمشاهد السوردية ، فهو يعرف أنهم أكثر سذاجة وبراءة من أطفال
المدن الأخرى . ولذا فلم يجب أن يصد مهمم ، بل ود أن يجعلهم
سعداء هانئين . فهو الوحيد الذى يعرف أى خطر هم مقبلون
عليه ، إنهم جميعا غير مدربين على القتال والمواجهة وليسوا
مستعدين للمغامرة . بل ولا يعرفون معناها . .

انطلق «الأساطير الإلكترونية» بكل سرعته حاملا فوقه مجموعة
المغامرين ولا يعرفون إلى أين يذهبون عدا العجوز الذى راح يدعو
الله أن يوفقه فى رحلته .

إنه يعرف أن «القط الشارد» الذى سلمه التكنولوجيا فى خمسة
أكياس مصنوعة من فتائل الذهب قد وصل الآن إلى هدفه وعليه أن
يستعيد الأكياس الواحد وراء الآخر .

فجأة بدأ الأفق يتلون بلون قرمذى غريب الشكل هتف
«فادى» :

- ما هذا . . انظروا . . ؟

هلعت « رانيا » وهى تردد : يا إلهى . لم أر شيئا مثل هذا من
قبل . . .

كان الأفق قد تحول تماما إلى اللون القرمذى . وكأن هناك حريقا
هائلا قد اندلع صاحت شهيرة :

- كأنها غابة النيران . .

رد العجوز : بل هى كذلك فعلا .

سأل حازم : هل سنطفئها . . ؟

لم يشأ العجوز أن يغلف الأمور بغموض يزيد من حالة الحيرة ،

- بل سنشعلها !!

وكاد الصغار أن يرتدوا إلى الخلف . فهذا يعنى أى خطر هم
مقبلون عليه ، لم يكن هناك وقت للتراجع ، فالبساط الالىكترونى
يندفع بقوة ، وكأنه سوف يقفز داخل الأفق القرمذى الذى أصبح

أكثر قربا . صرخت شهيرة :

- يا إلهى . . نكاد أن نحترق !!

ورد حازم هلعاً : بل نحن نحترق .

كانوا قد دخلوا بالفعل داخل المنطقة الملونة ، وشاهدوا النيران تتأجج كأنها سوف تجذبهم جميعاً تحرقهم .

(١٦)

وبحركة بالغة المهارة . ارتفع «البساط الإلكتروني» إلى أعلى . وأفلت باعجوبة من ذلك اللمب القرمزى الذى أطلقه التنين الأعور نحوه .

لقد دخلوا وادى الحجر المقدس . الذى يحرسه هذا التنين صاحب الألف لمب ، فكل نفس ينطلق منه عبارة عن ألسن النيران يمكنها أن تحرق أى شىء ، خاصة بمجرد أن يقترب أى شخص غريب . .

هنا أمسك العجوز مكبر صوت صغير وانطلق ينادى :

- أيها التنين . ألا تعرفنى . لقد أرسلت لك «القط الشارد»

ومعه الأكياس .

وهنا انطلقت صرخة التنين معبرة عن الفرح والكراهية ، ثم جلجل صوته فى الأفق ، وقال :

- رائع . . إنها بضاعتنا رجعت إلينا . .

صاح العجوز في مكبر الصوت :

- إنها أمانة . . يجب أن نأخذها . .

بغضب شديد ، جاء صوت التنين الممزوج باللهب المنطلق

حول « البساط الإلكتروني » :

- قلت لك إنها بضاعتنا . . الحجر المقدس سعيد الآن . .

إنه يتكلم بكل جدية ولايمزح . إذن فالأمر جاد ، فهنا كان أول مكان عرف الإنسان فيه فائدة النيران ؛ وهنا قام أحد الأجداد ذات يوم بحك قطعتين من الصخر ببعضهما . واستطاع أن يولد أول شرارة نيران واستخدمها في تطوير حياته في الطهي ، والتدفئة منذ ذلك الحين وحتى الآن . .

إذن فالتنين الأعور على حق حين قال إن بضاعته رجعت إليه فلاشك أنه سعيد لأن الشرارة الأولى رجعت إليه ثانية . تلك الشرارة التي توزعت في كل أنحاء العالم ، بعد أن عرفها الإنسان واستطاع بها أن يقيم أولى خطوات الحضارة .

كان هم التنين هو أن يبعد «البساط الإلكتروني» عن الوادئ بأى ثمن ، لذا راح يزجر بكل مالمديه من قوة فانطلقت النيران من حوله ، بل إنها لمستة ، ولولا اندفاعه بكل قوة لاحترق . صرخ

الصغار فى داخل البساط وصاح أحدهم فى ذعر :

- نريد أن نعود إلى بلادنا . .

رددت شهيرة :

- لا نريد أن نحترق . .

وارتبكت الأمور بزيادة الصراخات ، وبدأ كأن العجوز سوف يمثل . وقرر أن يعود من حيث جاء أمام إلحاح الصغار . . إنها المرة الأولى فى تاريخ حكايات الفنتازيا التى يقرر فيها أن يعود دون أن يحقق هدفه . .

(١٧)

فجأة رآه بجيوشه . .

إنهم قادمون وراءه . . إنه «الشبح الأزرق» وحرسه الأشداء . أحس أن معركة سوف تبدأ وأن أى مواجهة لن تكون أبداً فى صالحه فسوف يدفع هؤلاء الصغار حياتهم لو حدث أى اشتباك .

وتوقف «البساط الألكترونى» فى الجو . . وأحس العجوز بحيرة وراح يفكر بسرعة ، وتذكر طارق بن زياد حين خطب فى جنوده : «البحر من ورائكم والعدو أمامكم» ، ثم قرر أن يختار بين أمرين إما أن يعرض الصغار لمعركة غير متكافئة ، أو يعود ثانية نحو وادى الحىجر المقدس حيث توجد أول حجارة أشعلت النيران

فوق سطح الأرض .

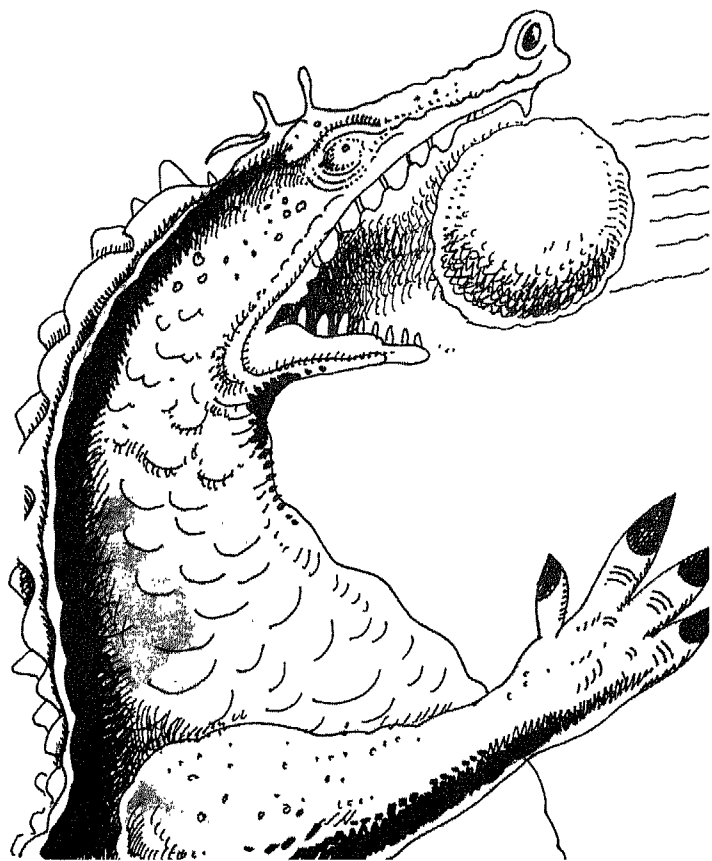
وقرر أن يدخل الوادى بأى ثمن . .

ودار «البساط الألكترونى» نحو النيران القرمزية المنطلقة من فم التنين ، وتحركت دوامة اللهب بسرعة ، ووسط هلع الصغار كان أمام العجوز أن يتصرف وأن يجعلهم أكثر ثقة فيما يحدث أمامهم . قال بصوت أجش لم يسمعه من قبل :

- لاتندهشوا . .

ولم يستطع أن يمنعهم من الدهشة . وهل فى إمكان أحد أن يمنع إنسانا من الدهشة؟ خاصة مجموعة من الصبية وجدوا أنفسهم أمام ثلاث مخاطر مثيرة للغاية . تلك النيران القرمزية التى توشك أن تطولهم . وذلك «الجيش الأزرق» الذى يطاردهم . ثم العجوز الذى لم يصبح عجوزا بعد ، بل راح ينسلخ إلى إنسان آخر، يبدو مفتول العضلات قوى الجسد . يرتدى زى المحارب ، يمسك بين يديه سيفاً ضخماً لا يمكن لأحد أن يحمله إلا أبطال رفع الأثقال .

انتصب جسد «الفارس النادر» ثم راح يوجه سيفه نحو الأفق وبكل مالىديه من قوة ، سحب طرف السيف الذى تحول إلى قوس ضخم فى طرفه كرة بيضاء أشبه بالثلج . وبلغت الدهشة حداً .



وهم يرون العضلات المنتفخة ، وهى تكاد تنفجر أسفل جلد الفارس الذى أطلق السهم ، فانطلق فى الأفق محدثا صفيرا عاليا . كان هذا المنظر وحده كفيلا أن يثير الرعب فى قلب «التنين الأعور» الذى استطاع بعينه الواحدة أن يرى كرة الثلج وقد تضخمت كلما دارت فى الأفق ، وراحت تتناثر داخل اللهب الذى يطلقه من فمه .

لم يمكنه أن يفكر فقد أعجزته الدهشة عن التفكير . وبدا كأنه يستسلم لمصيره .

(١٨)

ارتبك «الشبح الأزرق» وجنوده وهم يشاهدون الأحداث تسير بمثل هذه السرعة والإثارة . فقد انطلقت كرة الثلج بكل قوة نحو النيران . ثم غيرت اتجاهها بسرعة ، واندفعت نحو فم التنين المفتوح وغاصت فى أعماق جوفه خلال ثوان قليلة .

بكل ثقة ودون أن يلتفت إلى الصغار ردد «الفارس النادر» :
- هذه الكرة الثلجية تنمو كلما اقتربت من النيران حتى تحدث مفعولها .

بدا كأن «الفارس النادر» قد تملك زمام الأمور . وعلى مسافة غير بعيدة وقف الجنود تحت قيادة «الشبح الأزرق» ينظرون فى دهشة والذى ردد فى أعماقه :

- آه . . لقد نسيت أنه واسع الحيلة . .

وتذكر المغامرات السابقة . فكم هزمه «الفارس النادر» . لكن هذا لم يمنعه أبدا أن يطارده مجددا ، خاصة أن تصديه هذه المرة يجعله في موقف حرج أمام اتباعه . وشعر أن القضاء عليه حتمي . رأى «الشبح الأزرق» كيف ابتلع التين الكرة الثلجية ، وسرعان ما راح بطنه يؤله ، وبدأت ألسنة اللهب في الخفوت شيئا فشيئا حتى تلاشى اللون القرمزي الذي غطى الأفق .

في تلك اللحظات صاحت رانيا :

- لقد اختفت النيران . !!

ردد الفارس النادر : لاتفرحوا . . فنحن لانريد للنيران أن

تنطفئ . .

وهنا تذكر الصغار ما ألم بمديتهم المتطورة ، إنها الآن محرومة من النيران ، ولاشك أن ذويهم يعانون كثيرا بدون هذه النيران . فجأة تنبه «الفارس النادر» أن خصمه اللدود «الشبح الأزرق» موجود وراءه فانطلق نحو التين ، وأمسك مكبر الصوت وقال :

- أيها الأعور . . أين خبأت الكيس الذهبي . .

لم يتمكن التين من الرد ، فقد كان يتلوى ، وأخذ يتوعد أنه سوف ينتقم منهم جميعا ، أما الفارس النادر فلم يكن لديه وقت

ليشرح أن الأمر جد خطير، فلاشك أن انطفاء النيران في هذا الوادى أمر بالغ الخطورة ، وهو يعنى أن العالم كله كفيل أن يعانى من نقص فى النيران وهو أمر بالغ الخطورة .

لذا عليه أن يعيد النيران بأقصى سرعة . . وأن يتصرف بحيث لا يصل «الشبح الأزرق» إلى الكيس الذهبى الذى عليه أن يضع فيه الحجر المنشود . .

اقترب البساط الألكترونى من التنين وسرعان ما انكشف الغطاء الشفاف الذى كان يغطيه ، وقال :

- اسمع يا أعور . . اعطنا الكيس الذهبى . .

وبصوت يثير الرثاء ، قال التنين :

- ألا ترانى أتالم . . أخبرنى من أين جئت لى . .

. (١٩)

وسرعان ماتم الاتفاق . بدت النيران كأنها ستخبو للأبد من بطن التنين وهنا ظهرت الأحجار فى الوادى . إنها أحجار كثيرة متعددة الأشكال ذوات لون قرمذى مميز ، لكنها تكاد أن تفقد بريقها بعد أن خبت النيران ، أو تكاد فى الأفق . .

أسرع «الفارس النادر» بالقفز من فوق البساط الألكترونى ، بينمابقى الصغار ينظرون فى دهشة دون أن يكون لهم حول أو قوة .

أحس «الفارس النادر» بالأرض تتأجج من تحته ، أسرع بالتقاط حجرين كبيرين ثم التفت إلى التنين وقال وهو لاينوى أن يمسك بالحجرين :

- لا تكن عنيدا . اعطنى الكيس الذهبى .

إنه يعرف أن من المستحيل أن يمسك بأى حجر قرمزي يديه وأن الكيس الذهبى هو الشئ الوحيد الذى يمكن أن يضع فيه الحجريين القرمزيين .

إنه يتألم بشدة ، فالكرة الجليدية تتحرك فى أحشائه وتكاد أن تتمكن من إطفاء ألسنة النيران الأخيرة ، بدا التنين عنيدا للغاية ثم تمدد فوق الأرض ، بينما كان الجنود الزرق يرقبون المشهد كأنهم ينتظرون اللحظة المناسبة للدخول :

فجأة سقط الكيس الذهبى ، صاحت شهيرة :

- انظر . . هذا هو الكيس . .

التفت الفارس نحو الكيس الذى سقط من أحد حراشيف التنين ، بدا لامعا ، أراد حازم أن يقفز كى يلتقط الكيس ، لكنه أحس بالنيران المتبقية تكاد أن تحرقه .

بدا المنظر مهيبا ، فهذه الأحجار تكاد تفقد بريقها ، وهذا دليل أن النيران بدأت تخبو ، إنه موقف بالغ الخطورة فعلا . بسرعة

اندفع «الفارس النادر» والتقط الكيس الذهبى ثم وضع فيه
حجرين صغيرين ، وردد :
- هذا كيسى . . ؟؟

فى تلك اللحظات ، عادت الأشياء تتحرك بإيقاع أكثر سرعة
فقد أمر « الشبح الأزرق » رجاله بأن يطلقوا سهامهم نحو البساط
الألكترونى ، وان يدمروه من أجل الحصول على الكيس الذهبى
بأى ثمن ، وفى نفس الوقت كادت النيران ان تجبو تماما من
الوادی ، ووجد الفارس النادر أن عليه ان يتصرف قبل أن تفلت
الفرصة .

ولم يكن لأحد أن يعرف من سيكون المنتصر ولا متى سيحدث
فى هذا الجو المتأجج ؟

(٢٠)

وبكل سرعة ، أخرج سيفه وراح يواجهه نحو التنين ، وبكل
مهارة داس على طرفه ، وقد تحول إلى قوس عملاق وسرعان ما
استطاع أن يسحب كرة الجليد من بطن التنين الأعور الذى انتفض
وانطلقت منه النيران التى حولت المكان كله إلى كتلة من النيران
القرمزية .

صرخ التنين :

- سوف أريك أيها «الفارس النادر» . . سأحرقك . . وأطاردك حتى نهاية العالم .

اندفعت ألسنة اللهب المتأججة من فم التنين ، بينما ارتبك «الفارس النادر» الأزرق لهذه المفاجآت غير المتوقعة ، وسيطرت النيران على الأفق بينما صاح «الفارس النادر» كأنه يهدئ من روع رفاقه الصغار :

- لاتفرعوا . . سوف نهرب . .

وانطلق البساط الألكترونى ، يحاول الخروج من دائرة النيران بأسرع وسيلة ممكنة . بينما بدا التنين كأنه قرر مطاردة الفارس ورفاقه إلى نهاية العالم .

وفى داخل «البساط الألكترونى» ، كان التنين قد قرر أن يفعل شيئاً فعليه أن يعيد على وجه السرعة الكيس الذهبى إلى مدينة «المتاعب» - الراحة سابقا - من أجل أن ترجع النيران ، ولعل هذا يعطى الثقة فى قلوب السكان قبل مواجهة الجيوش الزرقاء والتي يمكنها الحضور خلال الأيام القليلة القادمة .
قال يسأل :

- هل تعلمتم المغامرة ؟

رد فادى : إنها لذيدة . . بل رائعة . .

بدا الحماس على وجه الصغار ، وشعر الفارس أنه يمكنه أن يستعين به في أمر خطير . قال :

- هل أنت مستعد للمغامرة وحدك . . ؟

لم يشأ أن يرفض فقد وجد نفسه في قلب المغامرة ، وأحس بطعم البطولة لأول مرة ، لذا قال : اطلب وستجدني فارسا مثلك . .
قال الفارس : إذن عليك أن تعود وحدك . . ومعك الكيس الذهبي . .

بدا كأنه يطلب المستحيل ، فكيف يمكنه أن يعود وحده إلى مدينته وسط رجال «الشبح الأزرق» المتربصين به ، ووسط النيران التي تكاد أن تلامس البساط الإلكتروني .

لم يكن هناك وقت للقبول أو الرفض ، أو التردد . بسرعة أخرج «الفارس النادر» من مخلاه البيضاء مظلات جوية راح يضعها حول ظهور الصغار الثلاثة : رانيا ، شهيرة ، وحازم . ثم قال :
- اطمئن ، كل شيء مبرمج . .

وتركوا فادى وحده وقفزوا في الفضاء وسط النيران المتأججة والأخطار الحقيقية .

(٢٠)

كان مشهدا مثيرا للغاية . .

فقد دفعت الرياح الساخنة الناجمة عن النيران ، بالمظلات إلى



مسافات بعيدة بينها انطلقت الجياد الطائرة التى يركبها الجنود الزرق خلف المظلات ، أما البساط الألكترونى فقد اختفى تماما عن الأنظار.

إنه مبرمج لكل المهام . . فما ، إن ابتعد عن العيون حتى انطلق عائدا نحو مدينة « المتاعب » حاملا « فادى » ومعه الكيس الذهبى وبدخله الحجران القرمزيان ، من أجل إعادة النيران إلى المدينة المنكوبة .

وقف « الشبح الأزرق » فى حيرة وهو يرقب المنظر، ثم أشار إلى رجاله أن يطاردوا « الفارس النادر » دون أن ينتبه إلى عددهم وأنهم نقصوا الآن واحدا . لقد تصور أنهم قد قفزوا فى الفضاء بعد أن أحرقت النيران البساط الألكترونى .

وبينما أمر « الشبح الأزرق » رجاله أن يطاردوا الفارس ورفاقه ، أحس الثنين الأعور بالغيظ الشديد ، ليس فقط لأنه فقد الكيس الذهبى ، بل لأن « الفارس النادر » قد أصبح الآن بعيدا عن دائرة سيطرته . . لكنه ردد :

- لا تفرح كثيرا « نادر » لقد وصلت إلى الوادى الأملس . .
وسوف أرسل لك صديقى الحميم « الديناصور العصبى » .
الوادى الأملس . ياله من مكان بالغ الخطورة . إنه هناك ممتد

على مدى البصر ، لايمكن له أن ينتهى ، والذي يسقط فوقه سوف
ينزلق إلى الأبد دون أن يتوقف . إنه مليئى بالمنحدرات الخطرة ،
وأيضاً بالسطوح الملساء الناعمة .

قبل أن تلمس أقدامهم الأرض ، صاح حازم :
- إنه الجليد . .

ثم سقط فوقه وعلى الفور انزلقت قدماه واندفع يتزحلق عليه
ومالبت أن تبعه كل من رانيا وشهيرة . بينما صرخ «الفارس النادر» :
- حذار . . تماسكوا . .

لم يكن يعرف أنه قد وصل إلى الوادى الأملس . بل كان يتصوره
وسط الضباب الكثيف الذى خلفته النيران أنه سينزل فوق الوادى
المنحدر . ولم يكن لديه وقت للدهشة ، ولا حتى للاستجواب فقد
انزلق الأربعة نحو مجهول لايعرفون أين نهايته بالضبط . .

وفى أعلى المنحدر انطلقت ضحكات «الشبح الأزرق» الذى
قل أن يضحك وهو يرى خصمه اللدود قد وقع فى شرك لاخراج منه
قط .

(٢٢)

إنه واد بالغ الخطورة . . هنا حيث لاشئ يمكن ان يبقى
ثابتاً . حيث لا يوجد أى احتكاك يمكن أن يمنع الأشياء من
الاندفاع .

ولذا انطلق الأربعة . . في البداية أصابت الصغار حالة من جنون الضحك ، تصوروا أنفسهم يتزحلقون فوق الجليد ، وبدا الأمر كأنه لعبة جذابة تبعث على التسلية . ثم مالبشوا أن أدركوا الخطر فهم لايمكنهم التوقف مهما كانت القوى التى تعترضهم .
ولذا راحوا يصرخون . وتعالى صيحاتهم مثرة للاشفاق . .
ولكن هذا لم يوقفهم فكأنهم يضعون زلاقات فى أقدامهم أو يلبسون عجلات صغيرة تنحدر بهم . وراحت القلوب تدق بعنف وصاحوا جميعا :

- النجدة . . النجدة . . نحن فى خطر !!

كان «الفارس النادر» يتزلج وراءهم ، وبدا كأنه فقد السيطرة على نفسه ، بينما طارت الجياد حاملة الجنود الزرق وزعيمهم «الشيخ الأزرق» ، وقد أحسوا بالشماتة الشديدة فيما يحدث لهم ، أدرك الفارس أن عليه ان يتصرف بأى ثمن . فلاشك أن الصغار فى حالة رعب شديدة .

وبينما الأمور تتحرك بهذه السرعة الجنونية اخرج سيفه الممشوق وراح يفرده فى الهواء وتناثرت مظلته وراءه . . ثم قفز بالسيف بكل مالمديه من قوة .

علا السيف فى الهواء . واقترب من الجياد الطائرة التى راحت تصهل فى فزع شديد . صاح « الشيخ الأزرق » :

- امسكوا هذا السيف . . إنه رمز القوة . .

لكن الجياد الخائفة لم تجرؤ على الاقتراب منه ، وهو في طريقه نحو الأفق ، ثم نزل من أعلى ، وانغرس في الأرض الملساء بينما اندفع الفارس النادر بكل قوته وقد بدت المظلة التي تعلق بها تعاند الريح . وبكل مهارة لاتعادلها أى مهارة في الدنيا ، تمكن من ان يسابق الصغار واقترب من السيف المغروس في الأرض الملساء وامسك به .

كان مشهدا مهيبا يستلزم عضلات أقوى من الجبال العالية ، بدت قوة الاندفاع متناقضة مع قوة العضلات واندفعت الريح تصرصر . وقبضت يدها على مقبض السيف ، وتناثرت المظلة بحبالها الطويلة لمسافة طويلة . ثم راح «الفارس النادر» يلف بكل مهارة حول السيف التفت أحبال المظلة ، حول سيقان الصغار بينما صاح «الفارس النادر» :

- تماسكوا . . حذار أن تقعوا . .

بدا المشهد مهيبا للغاية . وكان من الواضح أن الصغار لن يمكنهم أن يتماسكوا مع قوة الاندفاع الرهيبة ، رغم قوة أحبال المظلة .

(٢٣)

هبط «البساط الإلكتروني» فجأة فوق أطلال المدينة المنكوبة . .

بدا الحال مثيرا للرناء فى تلك اللحظات ، فالليل بارد وبالع
القسوة ، وأبناء هذه المدينة اعتادوا استخدام المدافى وأجهزة
التكييف فى بيوتهم التى اختفت .

وحول المدينة المنكوبة ، نقصد الكهوف ، اقتربت الذئاب تريد
ان تبحث عن فرائسها . وكانت ذئابا جائعة . وتوقع أبناء المدينة
أن تقوم معركة غير متكافئة بينهم وبين الذئاب ، ولذا راحوا
يتكاثفون معا ويلتفون حول بعضهم من أجل رد الخطر .

وما إن نزل « فادى » من فوق « البساط الألكترونى » حتى صاح
فى أهله وأبناء المدينة الباردة المظلمة الخائفة :

- ابشروا فقد أحضرت الحجر القرمزى . .

لم يتبينوا ملامحه وسط الظلام . ولم يفهموا شيئا مما قاله . لم
يتصور أحد أن النجدة قد جاءتهم .

امسك فادى بقطعتى الحجر القرمزى ، وراح يقترب من الأرض
حيث بقايا الأعشاب وقام بحك الحجرين معا بكل حماس وقوة ،
حماس الذئاب التى كادت ان تقترب وهى تنزأر بوحشية وتكاد
تدخل من أبواب الكهوف العديدة . .

صاحت أم فادى غير مصدقة ماتراه .

- ابنى . . لقد عاد . .

واندفعت نحوه فى الظلام وقد تملكته لهفة الأم أن تحمى ابنها

من الذئب القادم نحوه يكاد أن ينهشه ، بينما أخذ يحك الحجرين بكل قوة فجأة اندفعت شرارة النيران نحو الأعشاب ، وسرعان ما اشتعلت ، بينما اقتربت الأم تحاول أن تمنع الشر عن ابنها .
وكانت مفاجأة أن اشتعلت النيران في الأعشاب . ثم راحت تتحرك في المكان ، وسرعان ما ارتدت الذئب إلى الخلف خائفة من النيران . .

عانقت الأم ابنها وهي تبكى ، بينما غمرت الفرحة القلوب وهي تشاهد النيران تشتعل من حولها . فالآن يمكنهم أن يتدفقوا وأن يطردوا الذئب وإن يطهروا الطعام المتوفر لديهم ، وإن يضعوا ذلك الحمل الذى ذبحوه وكادوا أن يأكلوه نيئا ، وجذب لحمه شهية الذئب .

صاح رجل من أبناء المدينة وهو يشاهد هذه المعجزة الغريبة :
- يا إلهى . . لقد أعدت إلينا أول مظاهر الحضارة . . النار .
وراح يطلب منهم ان يجتمعوا للصلاة ، لشكر الله على هذه النعمة التى جاءتهم على حين بغتة .

(٢٤)

كان صوت « الفارس النادر » مهيبا ويدفع من يسمعه أن يسترد ثقته بنفسه ، ولذا تماسك الصغار المتزلقون ، ولم يقع أحد منهم فوق الأرض حين التففت الأحبال حول سيقانهم وتمنعهم من

الاستمرار فى الانزلاق . صاح الفارس :

-رائع يا أبطال !!

أحسوا أنهم أبطال فعلا ، بينما شعر الفرسان الزرق أن الفرصة قد حانت كى يصطادوهم من أعلى ، فسأل رئيس الأركان «الشبح الأزرق» :

- سوف نرميهم بالنبال . . مارأيك ؟

وجاء رد «الشبح الأزرق» حازما على شاشته المعلقة على

صدره :

- ليس قبل أن نحصل على العجلة الحديدية . .

لم يكن هناك وقت للرد ، ففى تلك اللحظات تحطمت القشرة الأرضية تحت السيف المغروس فوق السطح الأملس ، وتكسرت تماما وبدا كأن هناك وحشا عملاقا راقدًا هناك ، وأن السيف قد انغرس فى ظهره ، فأيقظه من نومه الطويل .

تكسرت القشرة وراح الصغار ينقلبون فوق المنحدر الذى صنعه ذلك الوحش العملاق الذى كان نائما فى تجويف الجبل . وتعلق «الفارس النادر» بسيفه فارتفع معه حين نهض الوحش ونصب قامته العالية ، بعد أن أزاح عنه كل الوادى المتزلق ، وراح يزجر بينما هتف «الفارس النادر» :

-ياإلهى . . إنه الديناصور العصبى . .



ويا له من عصبى ذلك الديناصور العملاق ، خاصة حين ينغرس السيف فى ظهره ، تحرك ذات اليمين وذات اليسار بكل غضب ، وكأنه يتألم من الغرس الذى فى جسمه . وهو يحرك رأسه كأنه غير قادر على السيطرة على الموقف .

دفع ذيله بكل عنف ، يريد أن يضرب به «الفارس النادر» لكن ذيله لم يطله . حاول أن يهتز بكل قوة لعله يسقطه ، لكن الفارس وضع كل قوته فى يديه ، وتعلق بالسيف كأن هذه هى الطريقة الوحيدة لعدم السقوط من أعلى .

ووسط محاولته للسيطرة على الموقف كان ينظر نحو المنحدر ورأى الصبية يتساقطون ، فأحس أن عليه ان يتدخل قبل أن يتفاقم الأمر . ولكن الأمر بدا وكأنه فلت زمامه ، فها هو الديناصور قد بلغ به الغضب أشده . وهو على استعداد أن يدهسه ، حتى وإن اضطر أن يرقد فوق الأرض ويحطمه تماما .

وبالفعل سرعان ما ارتقى فوق الأرض ، وكأنه يود أن يتخلص من آلامه حتى ولو اضطره أن يفعل أى شىء مجنون فى الدنيا . وبينما هو يرتقى نحو الأرض أشار «الشبح الأزرق» إلى رجاله أن هذه هى الفرصة الأنسب للتخلص من خصمه الأرنلى «الفارس النادر» .

قبل أن يرتقى «الديناصور العصبى» فوق الأرض . أطلق أحد الجنود الزرق من مسدسه الليزر طلقة أصابت الديناصور فى كتفه فانطلق يزجر واشتد غضبه ، ولم يكن أمام «الفارس النادر» سوى ان يقفز من أعلى بكل مالمديه من مهارة .

ووسط غضبته تمكن الديناصور أن يمد زوائده ، وإن يسقط ثلاثة من الجنود الزرق فوق الأرض ، وسرعان ماتولدت لديه رغبة قوية فى الانتقام وشهوة للثأر . .

لكن «الفارس النادر» ، كان قد وصل فى تلك اللحظات نحو أرض المنحدر سالما بعد أن هبط مستخدما عباءته كمظلة ، وأصبح كل همهم ان يوقف انحدار الصغار بكل مالمديه من قوة . . كان أهم شئء بالنسبة له هو أنه استطاع أن يتخلص من المأزق ، وأن يخرج سيفه من جسد الديناصور الذى ظل نائما تحت سطح الوادى الأملس عشرات الألوف من السنين . .

الآن ، هذا هو «الديناصور العصبى» ، وقد استبد به الغضب يريد ان ينتقم ممن أيقظه بأى ثمن . لذا اسرع نحوه يريد أن يدهسه تحت قدميه وجسمه الثقيل ، وبدا كأن سباقا شرسا قد بدأ ولن ينتهى . .

مرة أخرى ، فكر فى أن يلتقط الصغار قبل ان يلحق السوء بهم ، ولما كان قد تحلص من مظلمته ولم يعد أمامه سوى عباءته ،

فإنه راح ينثرها في الهواء وتطاير معها ، حتى وصل إلى سفح الجبل
وأخذ ينتظر وصول الصغار الذين كانوا ينحدرون بشدة .

قالت شهيرة لاهثة بعد أن التقطها الفارس :

- ماذا حدث . ؟ نكاد أن نموت . .

وهتف حازم : الحمد لله . . لقد وصلنا . .

قال « الفارس النادر » : لا . . بل لم نبدأ بعد . .

كان قد تمكن من التقاطهم بمهارة ، ورغم أن بعض الجروح قد
بدت على وجه رانيا فإن « الديناصور العصبي » الذي أصبح أكثر
قربا منهم دفعهم إلى الجرى في الوادي .

إنها مطاردة غير متكافئة ، فخطوة واحدة من هذا الحيوان
العملاق تساوي كيلو متر واحد تقريبا ، ولذا فإنه يمكنه أن يلحق
بهم بسهولة . ورغم سخونة المطاردة فإن الخوف استبد من جديد
بالصغار ، وهم يحسون بالخطر يقترب منهم .

صاح الفارس وكأنه يحاول ان يزيد من عزيمتهم :

- تشجعوا يا أصدقاء . . كدنا أن نقرب . .

أحسوا كأنه يمزح فماذا يقصد بالضبط . . هل يقصد أن
الوحش قد اقترب منهم ، وأنه سوف يفترسهم بأسرع مما يتصورون ؟

فجأة لاح الأمل .

أشار إلى عربة تبدو قديمة ، وكأنها مهملة منذ سنوات طويلة .

صباح :

- أسرعوا . . لقد ظهرت . .

حاول أن يجعل خطواته توازي خطوات الصغار الذين يلهثون .

تساءلت رانيا وهي لا تزال تجرى :

- ماذا تقصد . . إنها عربة قديمة .

قال بنفس ، اللهجة : الغريق دائما يبحث عن قشة يحاول أن

يتعلق بها .

في تلك اللحظات ، كاد الديناصور إن يدوس فوق حازم ، لكن

الصغير دفع نفسه وقفز بعيدا عن الخطر ، في نفس اللحظة نجح

الفارس أن يدفع بكل من شهيرة ورانيا فوق العربة ، وصباح :

- قوموا بتشغيلها حتى أشاغل الديناصور .

والفتت نحو « الديناصور العصبي » ، ثم أخرج سيفه مرة

أخرى ووقف في مواجهته ، كأنه سوف يقاتله ، وقال وهو يدرك

خطورة الموقف موجهها كلامه إلى حازم :

- أسرع إلى العربة . . أنا قادم . .

وقبل أن ينتهي من كلامه ، رمى بالسيف في الهواء فتحرك أمام

عيني الحيوان ، وبدا كأنه ضوء ساطع راحت تشغل الحيوان الشائر

فتوقف عن الحركة وبدا منتبهاً إلى السيف الذى أخذ يدور فى الهواء عدة مرات .

فى تلك اللحظات كان الجميع قد ركب العربى القديمة وراحت شهيرة تديرها فهى تعرف جيداً كيف تتصرف ، وكم ادارت مثلها فى مدينة الملاهى . صاح « الفارس النادر » الذى ركب فى الخلف :
- أسرعى قبل فوات الأوان . .

وراحت العربى تتحرك . وفى تلك اللحظات سقط السيف من أعلى ، فمد « الفارس النادر » يديه خارج العربى ، وتمكن من التقاطه بينما انطلقت العربى بكل سرعة . .

كانت مطاردة غريبة فعلاً لكنها غير متكافئة . ليس لأن الحيوان عملاق ، وله اقدام ضخمة يمكنها أن تدهس العربى ولكن لأن هذه العربى ذات العجلات القوية يمكنها أن تدور بسرعة . وأن تتحرك تندفع فوق الأرض وتسبق الديناصور عشرات المرات . .

وبالفعل . فما إن انطلق « الديناصور العصبى » خلف العربى حتى بدا كأنه سوف يدهسها فى أول الأمر ، لكن مالبثت السرعة أن زادت وابتعدت العربى إلى مسافة كبيرة . ولأنه ديناصور عنيذ للغاية ، فلم يتوقف عن الجرى خلف العربى البعيدة وبدا يلهث بشدة . وحاول أن يقذفها بحجر ضخم ، لكنه لم يستطع فقد بدا



كأن قوته قد خارت .

توقف فجأة عن المطاردة ، كأنه يندب حظه ، فهو لن يتمكن أبدا من النوم في الوادى الأملس تحت الطبقة الجليدية ، وقرر أن يعود ثانية ربما يمكنه أن يفعل ذلك بعد مئات من السنوات الباردة . .

(٢٧)

ضحكوا جميعا ، وكان لضحكاتهم أكثر من معنى .
الآن هاهو العجوز قد انسلخ ثانية ، ويجلس في المقعد الخلفى للسيارة ، ويقول :

- الحمد لله . . لقد حصلنا على العجلة . .

ثم راح يشرح أن البشرية قد تطورت عشرات الدرجات يوم أن عرف ابناؤها أهمية العجلات ، فلولاها ماتمكنوا من الإفلات بسهولة من الديناصور العصبى . قالت رانيا :
- أتمنى ألا تكون المغامرة قد انتهت . .

سألها : هل عرفت إلى أى حد المغامرات ممتعة ؟
هزت رأسها بالإيجاب ، بينما قالت شهيرة : أما أنا فقد تعبت . .

قال العجوز : مهمتك قادمة . . سوف تعودين بالعربة إلى المدينة . . وهناك ستتغير الأمور .

أخبرها أن مهمتها شاقة . فعليها أن تعود بكل سرعة بواسطة
العربة ذات العجلات ، فلعل هذا يفيد المدينة في فك محتتها ،
فلاشك أن عودة العجلات سوف تساعد الناس في أن يواجهوا
القوات الزرقاء القادمة .

وكان على شهيرة أن تركب العربة وأن تسرع بها ، وفي تلك
اللحظات وقف الجنود الزرق يتطلعون من أعلى الجبل . وأشار
«الشبح الأزرق» انه يجب منع العربة من الانطلاق ، وامر بأن يسرع
عشرة رجال خلفها بالجياد الطائرة . .

وما إن انطلقت شهيرة بالعربة في الطريق الذى رسمه لها
العجوز، حتى اندفع الجنود وراءها ، هنا رفع حازم عينيه وقال :
- هؤلاء الرجال أشرار . . إنهم يطاردون العربة . .
ضحك العجوز ضحكته الجذابة وبدا كأنه يطمئنه أن رانيه
سوف تتصرف بذكاء . . ثم قال :

- لقد توقفنا قليلا والتقطنا أنفاسنا . . لكن الرحلة طويلة . .
سألت رانيا وهى تتطلع إلى الأفق في الجهة الغربية ، أى عكس
الجهة التى سارت فيها شهيرة :
- انظر . . ما هذا ؟ . .

كانت توجه كلامها إلى العجوز ، فهو الذى يعرف ماذا
هناك . . نظر الثلاثة إلى قطب عال . بدا أشبه بعمود أثرى أسود

غريب . قال :

- حسنا . . لقد رأيناه . . يجب أن نذهب إلى هناك . . إنه القطب الموجب . . هيا بسرعة . .

ثم تطلع إلى أعلى حيث يركب «الشبح الأزرق» ورجاله الجياد الطائرة، بدا كأنه يتمنى أن يكون لديه أحد هذه الجياد بعد أن تخلص من كل من البساط الألكترونى ، والعربة ذات العجلات ثم تتمم :

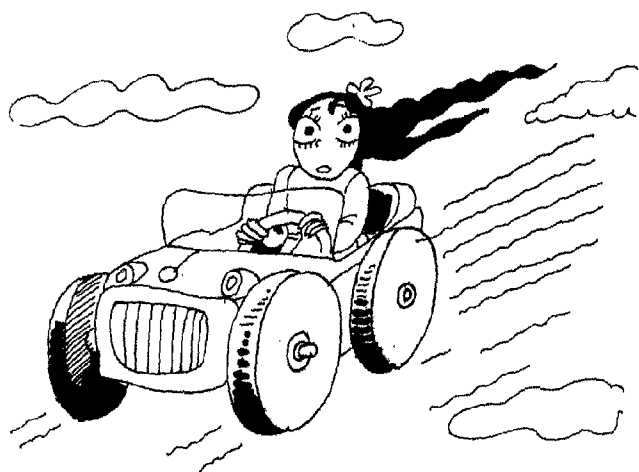
- أتمنى ألا يصل إلى هناك قبلنا . .

ولم تفهم رانيا شيئا ، أما حازم فبدا كأنه يتذكر متى سمع هذه العبارة « القطب الموجب » ، لكنه لم يتمكن من التذكر .

(٢٨)

فى تلك اللحظات ، انطلقت الجياد الطائرة العشرة وراء عربة شهيرة ، وحاول الجنود الزرق ان يمسكوا بها كى يمنعوها من الوصول إلى هدفها ، وبالفعل فقد كادوا أن يقتربوا منها ، ولكن ما إن لامسوا العربة ، حتى بدت كأن قوة غريبة قد مستها فانطلقت تسرع بشكل اثار دهشتهم .

وحاولت الجياد أن تلحق بالعربة المنطلقة ، ولكن هيهات فقد سبقت الريح ، ولأن أوامر «الشبح الأزرق» بالغة الحدة فإن الجياد لم تكف عن المطاردة . . ولذا اصاب الجياد تعباً تساقط الواحد



منها تلو الآخر . . وما أقسى أن يتساقط الجواد . .

ووصلت شهيرة بعد ساعات قليلة إلى مدينتها المنكوبة . .
كانت المدينة فى تلك اللحظات تمر بأزمة جديدة ، فاليأس قد
استبد بالناس ، صحيح أنهم تمكنوا من إشعال النيران لكن لم يكن
هناك صيد ولا وسيلة للتجوال فى الأماكن القريبة من أجل إحضار
الصيد الثمين .

وعندما وصلت شهيرة إلى المدينة ، كان أحد الشيوخ قد أصيب
بتعب مفاجئ . وظن الناس أن الطاعون سوف ينتشر فى ظل هذه
الظروف القاسية . .

وخاف الناس أن يمسا المريض . . وتمنوا أن تأتى المعجزة
لنقله بسرعة بعيدا عن المكان . وما إن سمعوا صوت العربية حتى
صاح أحدهم :

- انظروا . . لقد جاءت النجدة !!

لم يصدقوا ما تراه أعينهم ، انطلقوا يستقبلون شهيرة بحفاوة بينما
راحت أمها تبكى من الفرحة ، لأنها لم تكن تتصور أن تعود ابنتها
سائلة بل ومعها تلك العربية التى هى مؤشر خير .
صاح أحد الرجال :

- بسرعة ، احملا المريض هنا ، واذهبوا به إلى الطبيب فى المدينة
المجاورة .

واستعذب الناس الفكرة . . وبعد قليل دارت أول عجلة منذ يومين في المدينة ، وكان ذلك إيذانا بعودة كافة أشكال العجلات إلى المدينة . . بدا ذلك بالرحاية القديمة التي كانت تطحن الحبوب ثم عجلات العربات والسيارات والقطارات والطائرات وأيضا التروس الموجودة في الساعات والأجهزة الكهربائية والمصانع . وبدأ أحد أهم أسباب التكنولوجيا يعود إلى المدينة . . وعمت الفرحة القلوب . . لكن كانت هناك أشياء كثيرة ضائعة . . فرغم وجود العجلات فإن الكثير من الأشياء لم تتحرك . . وبدت كأنها غير موجودة . . لأنه يجب ظهور شيء ما يحركها . .

(٢٩)

لذا كان على العجوز ان يسرع في طريقه . . وأن يصل إلى هدفه قبل الأوان .

كان عليه أن يصل إلى «وادي القطيين» بكل سرعة . ولم يكن الأمر سهلا ، فهاهى الجياد الطائرة الباقية يمكنها أن تنطلق وتسبقه . . فكر فيما عليه أن يفعله ، لقد سبق أن استخدم في مرة سابقة الزلاقات ، ولكنه لا يجب أن يستخدم نفس الشيء مرتين .

أشار العجوز إلى « الشيخ الأزرق » ، وصاح :

— أنت يا أزرق . . لا تقترب من هذا الوادي . . إنه لى . .

أوقف «الشبح الأزرق» حصانه الطائر وبدأ كأنه يوكل رئيس أركانه «الداكن» أن يرد نيابة عنه ، فقال :

— الرسالة وصلت يانادر . نحن نعرف مدى خطورة هذا الوادى . ولذا سنهديك أحد الجياد الطائرة . . نحن لانريده . .
لم يفاجأ العجوز بهذا الكرم . فلاشك أن «الشبح الأزرق» يعرف أن من يدخل هذا الوادى لن يعود ثانية منه ، وهو المعروف فى قصص الفنتازيا بوادى الصواعق . حيث لا يوجد شيثان متفقان أبدا . وهناك تطاحن دائم بين الأطراف . . وياويل من يمشى تحت المسافة الواقعة بين القطبين الأسودين : القطب الموجب . والقطب السالب . .

قال العجوز مشيرا إلى «الشبح الأزرق» :

— نشكر لك كرمك . . وأعرف انك حريص على الحياة . . سأترك لك الجواد حتى لايموت من الصاعقة .

فى تلك اللحظات ، بدأت السماء تتلبد بالغيوم ، قال العجوز:

— سوف يسقط المطر خلال ساعة . . وستكون كارثة . .

لم يفهم حازم ورائيا ماذا يقصد بذلك لكن لاشك أن أى كارثة ستكون أخف وطأة مما أصاب مدينتهم ، لم يكن هناك وقت للإجابة ، فقد رأى شيثا يلمع فى الأفق . جذب انتباهه بشدة .
صاح :

- يا للهول . !! القطب يلمع . . يجب أن نسرع .
ولم يكن هناك وقت للتفكير ، التفت إلى قوات «الشبح الأزرق»
وقال :

- اهرب من هنا . وإلا سيلحقك الدمار .
ومن جديد ضحك «الشبح الأزرق» فلاشك أن خصمه الأذى
يود له النجاة ، فى تلك اللحظات هبط أحد الجياد الطائرة أمام
العجوز . ولم يكن أمامه سوى ان يركبه ، وينطلق به نحو الوادى .
قبل ان تفلت الأمور من بين يديه .
وأسرع الثلاثة يقفزون فوق الجواد الذى طار بهم بسرعة نحو
بوابة «وادى الصواعق» . وهناك كانت المفاجآت فى انتظارهم .

(٣٠)

فى تلك اللحظة التى انطلق فيها «الجواد الطائر» عائدا إلى مكان
آمن ، رأى العجوز امرأتين تبكيان بحرقة شديدة ، كانت إحداهما
تبدو عملاقة بشكل ملحوظ وتقف على البوابة اليمنى ، أما الثانية
فإنها تبدو قزمة ، وتقف عند البوابة اليسرى . .
ما إن رأت المرأتان العجوز حتى أسرعتا نحوه ، وقالت
العملاقة :

- أيها الرجل العجوز . يبدو أنك طيب . ارجوك انقذ ابنى .

والغريب أن المرأة القزمية قالت نفس الكلام . اندهش حازم ورائيا ، ورق قلب كل منهما وهما يتذكران ذويهما الذين يتلهفون حتما على عودتهما . قالت الأم الأولى :

- ذهب ابني لشحن القطب الموجب . .

وأكملت الثانية : وابني ذهب لشحن القطب السالب . .

أحس العجوز أن الأمر بالغ الخطورة ، وسرعان ما عرف الحكاية ففي «وادي الصواعق» توقفت الحروب بين أبناء الطائفتين اللتين تسكنان الوادي : الأقزام والعمالقة منذ عام مضى . وهاهي تتجدد مرة أخرى مع اقتراب موسم الأمطار . فقد ذهب جميع الشباب من الأقزام إلى حيث يوجد القطب السالب وعليهم القيام بشحنه ، بكافة الشحنات الكهربائية المحبوسة في أرض الوادي حتى يعود إليه لمعانه . ويصبح مهيشا لأن يطلق صواعقه نحو القطب الموجب الذي سيصبح بعد دقائق في قمة تألقه ولمعانه ، بعد أن تم شحنه بكافة الشحنات الكهربائية الموجبة .

قالت الأم العملاقة :

- في العام الماضي مات الكثير من أبنائنا في معركة شرسة . .

ثم قالت الأخرى : ولانريد أن يموت أبنائنا هذا العام . وهاهي الأمطار ستسقط بعد قليل . وبينما هما تتكلمان كانت عضلات العجوز قد بدأت تشتد وتقوى ، وتندفع الدماء الحارة في

الشرابين ، قال للمرأتين :

ـ سأحاول .

قالت العملاقة : هناك نبوءة أن رجلا غريبا سيأتى هذا العام
وسياخذ الشحنة المركبة معه . وعلينا أن نساعده . .

دفعت القزمة بكيس صغير وقالت : خذ ، هذه ستفيدك . .
فأنت الرجل الذى رأيته فى أحلامى ينقذ ابنى .

وامسك الفارس النادر بالكيس ، ونظر إلى السماء الملبدة بالغيوم
وتحسس وجهه ، وقال :

ـ لقد سقطت أول نقطة مطر . . إلى اللقاء . .

كان عليه أن يلزم بالأمور قبل أن تفلت من بين يديه ، هتفت
«رانيا» وهى تراه يبتعد :

ـ ألن نأتى معك ؟

رد : اذا لم أعد . . فلا تتوقفا عن المغامرة . .

وكان رده أبلغ دليل على خطورة الأمر . فترى هل سيتمكن من
العودة ثانية ؟

(٣١)

بدأ السباق الرهيب مع الزمن . .

فهاهو المطر يتساقط . . وهاهو الوادى قد تلبد بالغيوم

واختفت الشمس ربما لأيام طويلة قادمة . وفى طرفى الوادى يقف القطبان كل منهما شامخ يلمع كأنه يستعد للمجابهة . على الطرف الأيمن . راح الشباب العمالقة ينشدون اغنيات الحرب . وقد استبدت بهم رغبة مثيرة فى أن ينتصروا على منافسيهم ، من أصحاب القطب المقابل ، وتصوروا إنه كلما زادوا من الشحنات الموجبة أمكن لقطبهم أن يطلق شرارة تغلب بالضربة القاضية الطرف الآخر .

أما الشباب الأقزام فكانوا يتسمون بعناد شديد ، وبكل ثقة فى النفس ، راحوا يدفعون آخر الشحنات السالبة فى قطبهم اللامع وأخذوا يتأملون السماء وهى تسقط أمطارها ، التى بدأت تزداد غزارة . .

تساقطت حبات المطر فوق القطبين ، واستعد كل منهما أن يطلق شحنته بينما اصطدمت السحب ببعضها بقوة شديدة ، وفى تلك اللحظات المثيرة انطلقت أول إشارة رعد من بين السحب سبقتها صاعقة صغيرة .

وعلى الطرفين راح كل جانب يهلل :

- النصر لنا . . النصر لنا . .

وما إن انطلقت الصاعقة الصغيرة حتى كان ذلك إيذانا بتوليد شحنة من الصواعق الكبيرة ، بدأت تحرك الشحنات الكامنة فى



القطبين المتباعدين المتنافرين ، وكان ذلك إيذانا بشحن القمم بالشحنات .

فى تلك اللحظات كان الفارس النادر قد أسرع بكل ما يملك من قوة ، واختار أن يصل إلى نقطة المنتصف بين القطبين . كان يعرف أنه لا يمكن لأحد أن يفكر من أبناء الوادى فى ان شخصا غريبا قد وصل إلى هذه البقعة الغارقة فى الأمطار ، وكأنها مركز الصواعق .

وقف يتأمل الشرارة العظمى تستعد للانطلاق من القطب الموجب ، وعلى الطرف الثانى رأى شرارة بالغة القوة تنطلق من القطب السالب . إنها الشحنة الحارقة التى لا تنطلق سوى مرة واحدة فى السنة ، وهى كفيلة لو التقت بالشحنة الموجبة أن تحدث أثرا قويا يمكنهما أن تكهربا كافة الكائنات الحية فى الوادى ، وتقتلنهم جميعا .

فكر فيما عليه ان يفعل ، لم يكن قد اهتمدى بعد إلى ما يمكن أن يفعله كى يمنع الكارثة لكنه فجأة تذكر المرأة التى اهدته صندوقا صغيرا . إنه لا يزال يحمله وأحس أنه يمكنه الاستفادة منه لكن ترى ما هذا الصندوق حقا ؟

(٣٢)

هتف فجأة . يا إلهى . . لقد اهديت إلى الفكرة . .

وتحركت الأحداث بسرعة . وأسرعت الشحنتان كل منهما نحو الأخرى كأن الصاعقة العملاقة سوف تتولد وتصيب الوادى بكارثته الأخيرة ، فجأة أخرج سيفه وراح يطعن به الهواء . ويده اليمنى دفعه نحو الأعلى . أما يده اليسرى فقد أمسكت العلبة البلاستيكية ، وراح يثبت قدميه فى الأرض بقوة كأنه يعرف أن ما هو قادم عليه يحتاج إلى جبل راسخ حتى لا يتحرك . لا يتحرك من هول الصاعقة .

وانطلق نصل السيف فى الفضاء ، وبكل سرعة راح يتمدد لأعلى وأصبح النصل عريضا ، كأنه مرآة لامعة مستعدة أن تستقبل هاتين الشحنتين العملاقتين على طرفى النصل .

وبالفعل اندفعت الشحنة الموجبة نحو طرف النصل الأيمن واندفعت الشحنة السالبة نحو الطرف الآخر وبكل مهارة استطاع «الفارس النادر» وهو يغالب كل هذه العوامل الجوية القاسية ، أن يلتقط الشحنة العملاقة فى طرف سيفه ، وسرت فى الصلب النادر المصنوع منه السيف وبكل مهارة أيضا فتح العلبة البلاستيكية التى اخذها من المرأة القزمية ، والقى بداخلها بالشحنة العملاقة وسرعان ما راح يغلق العلبة وهو يتنهد ويصيح :

- يا إلهى . . أخيرا !!

كان كل شىء قد تم بمعجزة خارقة ، وفقد كل من القطب

الموجب والقطب السالب شحنته التى لن تعود إليه إلا بعد سنة كاملة ، وأنقذ الوادى من كارثة حقيقية لن تتكرر فى الزمن الحالى .
ورغم أن المطر لم يتوقف ، فإن الأمور بدت هادئة وكان على الفارس النادر أن يسرع إلى بوابة المدينة من أجل أن يرسل الشحنة العملاقة إلى المدينة المنكوبة مع أحد الصغيرين .

وعند بوابة المدينة ، قابلته كل أم بسعادة بالغة ، راحت كل منهما تعانق الأخرى بتأثر باد وكان هذا مشهدا غريبا طريفا للغاية ثم التفتت الأم العملاقة إلى «الفارس النادر» الذى عاد إلى هيئته كرجل عجوز، وقالت له :

- أيها العجوز الحكيم ، لك فى عنقى دين فاطلب ما تشاء . .
ولم يشأ العجوز أن يطلب مقابلا لمهمة قام بها . فكفاه أنه قد حصل على الشحنة الكهربائية العملاقة ، ولكنه يفكر الآن فى وسيلة يذهب بهذه الشحنة إلى المدينة المنكوبة . قالت المرأة القزمية :
- لقد أنقذت وادينا وأبناءنا من كارثة محققة . .

صاح العجوز : هل لديكم وسائل سريعة للنقل ؟
وراح يشرح الموقف للمرأتين . هنا قالت العملاقة :
- الأمر صعب . . لكنه ليس مستحيلاً . .

(٣٣)

كان على رانيا أن تحمل مسئولية العودة بالشحنة الكهربائية

العملاقة الموجودة داخل الصندوق البلاستيك إلى مدينتها .
وسرعان ما جاء الرخ الملون كى يقوم بمهمة نقلها إلى المكان
الذى تريده . كان عليه أن يحملها فوق ظهره ، ويطير فوق
السحب الملبدة . دون أن يعرف ان عشرة من جنود المدينة الزرقاء
قد تتبعوه من أجل اختطاف الصندوق ، ومحاولة الاستيلاء على
تلك الشحنة الثمينة .

التفت رانيا إلى الخلف ، ثم صاحت تحدث الرخ الملون :
- اسمع يا صديقى . . يقولون أنك بطئ ، وان الجياد الطائرة
أسرع منك .

ورغم أن تلك حقيقة مؤكدة ، فان الرُخ أحس بالغيظ ، وفجأة
ضم جناحيه وفرد منقاره للأمام وكأنه أصبح صاروخا ينطلق نحو
الفضاء . . وبدأت مطاردة غريبة بين الجنود الزرق وبين الرخ
الملون الذى راح يسبقهم بمسافة طويلة ، وعندما أحس رجال
«الشبح الأزرق» بأن الأمور تكاد تفلت منهم ، قرروا اطلاق
الأشعة الزرقاء على الرخ من أجل اسقاطه من اعلى .

لكن هؤلاء المساكين الأغبياء كانوا لا يعرفون أن الأشعة الزرقاء
لا يمكن أن تصيب الرخ بأى اذى . فسرعان ما ذابت هذه الأشعة
داخل الألوان العديدة المزركشة التى يتكون منها ريش الرخ
الجذاب ، وهكذا أفلتت رانيا من خطر محقق ، وبعد ساعات

قليلة وصلت في اليوم الثالث من المغامرة إلى طرف مدينتها . .
كانت المدينة قد استعادت بعض الثقة عقب عودة شهيرة ،
والآن ، هاهي رانيا قد رجعت حاملة الصندوق الثمين معها .
صاح كبير العلماء وهو يمسك بالصندوق :

- يا إلهي . . هذا كنز عظيم . سوف نحرك به المدينة . .
وانتقل أبناء المدينة كي يشاهدوا عودة الحياة الحقيقية ، فسرعان
مادارت السيارات الواقفة ، دارت مواتير المصانع ، وعادت
المصابيح للظهور ، وظهرت الأضواء من جديد . وبدأ كأن الحياة
تنبض في كل انحاء المدينة .

وارتسمت الابتسامة على الشفاه . . لكن من الواضح أن
المغامرة لم تنته بعد . فلا تزال هناك أشياء غالية على «الفارس
النادر» أن يحاول استعادتها . .

ترى ماهذه الأشياء ؟ وهل يمكن إعادتها بسهولة أم إن المغامرة
مرتبطة بالمخاطر التي لا تكاد تنتهى حتى تبدأ من جديد . ؟

(٣٤)

قال العجوز ، وقد بقى وحيدا مع حازم :
- لو أن «رانيا» نجحت في الوصول إلى المدينة ، فإن ذلك يبشر
بالخير.



قال حازم : اطمئن سوف تصل رانيا . . لكن أتمنى ألا تكون المغامرة قد انتهت .

هز العجوز رأسه كأنه حاول أن يستجمع ذكرياته ، وقال :
- مغامرة الإنسان مع الحضارة لاتنتهى . . إنها قائمة ماقام الإنسان . . ولكن علينا أن نتوجه إلى أكثر هذه الوديان جمالا .

بدت الكلمات غريبة على حازم ، ماذا يقصد العجوز بهذه الكلمات ؟ لعل الاثنين لم يعرفا أنه فى تلك اللحظات التى كانا يتكلمان فيها عن هذا الوادى البعيد ، فإن «الشبح الأزرق» قد اختفى مع رجاله من الجو ، حيث اندفعوا بجيادهم الطائرة ، واتجهوا إلى مايسمى بوادى الذكريات . . كانت الفرحة مرسومة على وجوههم وكأنهم سوف يرتكبون الشرور المتوقعة منهم حيث حلوا ونزلوا .

وبينما هم فى طريقهم إلى وادى الذكريات ، كان العجوز قد حكى الكثير عن هذا الوادى لحازم وهما فى طريقهما إلى نفس المكان .

ركب كل منهما جوادًا أبيض ، وقررا أن تكون الرحلة هادئة خاصة أن الوادى ليس بعيدا وان المرحلة الأساسية من المغامرة قد مرت ، أما الجانب الجميل منها فهو قادم .
ولأول مرة يعرف حازم تلك الرحلة المثيرة التى قطعها الإنسان

مع الحضارات ، وإن لكل حضارة ميزتها الكبرى فبينما برع
الفراعنة في علوم الهندسة والتحنيط ، وتوصلوا إلى الكثير، من
المعجزات ، فإن منطقة الشرق كانت مهدا لهداية البشر حيث نزلت
الأديان الكبرى هنا مثل الإسلام والمسيحية واليهودية ، أما اليونان
فقدمت للعالم أجمع الأساطير وأعماق الفلسفات ، وبرع الرومان في
علوم السياسة والديمقراطية ، وفي الصين كانت العلوم والفلسفة
والعقائد غير السماوية مثل البوذية والكونفوشية .

وفي العصر الحديث كانت ثورة التكنولوجيا وتطبيق العلوم
النظرية ، ولكن العالم كله أصبح مكانا خصبا للحضارة الحديثة
التي مثلتها مجموعة من الاختراعات الحديثة .

سأل حازم : ماذا تقصد . ؟

قال العجوز : إنها ثورة كبرى . .

بدا الأمر مثيرا للتساؤل . سأل حازم : إنها كلمة كبرى . . من

قام بالثورة . . وضد من . .

ابتسم العجوز - وكان الاثنان قد وصلا إلى أطراف الوادي - إنها

ثورة . . يستفيد منها الجميع . . ثورة الاتصالات .

وكان على العجوز أن يشرح الكثير لحازم مما يقصده . . ولكن

يبدو أن الأحداث الجسيمة كانت في انتظارهما ، فهذا الوادي

الجميل قد شهد أحداثا مثيرة .

(٣٥)

فى اللحظة التى دخل فىها الاثنان من بوابة الوادى الكبير، كان جنود «الشبح الأزرق» بقيادة زعيمهم يهربون من الجانب الآخر حاملين معهم شيئاً ثميناً . .
ولذا ، اندهش العجوز حين دخل الوادى . فقد بدا له ساكنة بلا حياة ، التفت ذات اليمين وذات اليسار، وكأنه يبحث عن شىء .

سأله حازم : ماذا بك . . ؟

رد العجوز : أحس أن «الشبح الأزرق» قد مر من هنا . .
إنه يعرف أن وادى الذكريات ملئى بالبهجة والفرحة . وإن سكان هذا الوادى فى مهرجانات دائمة ، يغنون ويمرحون ، ويستمعون إلى أجهزة الراديو ويتفرجون على أفلام السينما ، ويشاهدون الأخبار فى التلفزيون ويوجد لديهم هنا أكبر متحف فى التاريخ للصور النادرة بعضها ملون والبعض الآخر أبيض وأسود .
إذن فهناك شىء ما غريب ، اختار أن ينزل من فوق الجواد وتبعه حازم ثم راحا يمشيان فوق أرض الوادى ، بدا المكان خالياً من كل الأحياء . . وكأن قبلة أبادتهم . . وقف ينادى .
- يا أهل الذكريات . . يا أهل الذكريات . .
ولم يسمع رداً على ندائه ، فالتفت إلى الصبى وقال :

- فعلا . لقد مر الشبح . . .

وقبل أن يكمل جملته هوى العجوز من أعلى ولم ير أمام عينيه
إلا ظلاما دامسا ، واندفعت رأسه تتخبط في جدران حفرة عميقة
فشعر كأن الدماء تنسال منها .

وقبل أن يصل إلى قاع الحفرة ارتفعت ضحكات السخريّة
والغضب وسمع صياح حازم ، وكأنه يحاول التخلص من القوم
الذين امسكوا به .

لم يعرف ماذا جرى . . ولكنه أحس بالخطر يتجسد من حوله
ولم يكن أمامه سوى أن يتحول إلى الفارس النادر هذا الرجل الذى
لا يظهر إلا عندما تأتى الأزمات ، وقد بدأ يتحول منذ أن هوى إلى
القاع . .

لذا استطاع أن يتلقى الصدمة باعجوبة ، ولو أن أى عجوز بل
أى شخص سقط فى هذه الحفرة الضيقة من هذا الارتفاع لتحطمت
عظامه تماما ، ولذا فلم يحس «الفارس النادر» سوى ببعض الألم فى
جسمه . ولأنه الآن صاحب قدرات مميزة فقد استطاع أن يستمع
إلى صراخ حازم :

صاح : يا إلهى . . ساعدنى سى أنقذنى . .

لم يفهم ماذا حدث بالضبط . . ولم يعرف أن مجموعة من القوم
البدائيين كانوا يحملون « حازم » فى تلك اللحظة ، وينطلقون به

نحو « كبير المتفرجين » زعيمهم الأزلى ، حاملين إليه البشرى الكبرى ، إنهم قد قبضوا على ذلك الأجنبى الذى سرق منهم أعز ما يملكون . .

(٣٦)

أصبح كل هم الفارس النادر هو الخروج من هذه الحفرة . . ولم يكن أمامه سوى سيفه الخارق ، فراح يغرسه فى جدار الحفرة وتمكن من التعلق به وصنع سلما ليصعد إلى أعلى الحفرة العميقة . ولكن ما إن كاد يصل إلى فوهة الحفرة ، حتى انهارت الجدران الرملية ووجد نفسه يهوى من جديد مع الرمال التى دفنته تماما . بدا الجو مظلما ، وأحس أنه يكاد يختنق ثم بدأ يغالب نفسه وحاول قدر قوته أن يرفع الرمال المتراكمة فوقه ، لكنه لم يستطع فقد كانت ثقيلة . وكفيلة أن تخنقه ، لكنه لم ييأس ، واستجمع المزيد من القوى وبكل ماله من عزيمة رفع الكتلة الرملية واصطدمت يده فجأة بشيء من الصلب ، هتف وهو يغالب اختناقاه :
- يا إلهى . . إنه السيف . .

وما إن أمسك السيف حتى راح يكرر « الحمد لله » ثم داس بقوة على السيف الذى كان مغروسا مثله فى الرمال ، وعلى الفور دار نصل السيف حول نفسه كأنه يحاول أن يحفر وسط الرمال ، ويفتح طريقا لصاحبه .

وبالفعل ، فقد راح السيف يخلخل الهواء حول الرمل الذى أخذ يتناثر، بينما لم يحتمل « الفارس النادر » هذا القدر من الغبار وراح يتمتم :

-إنى أختنق . . ساعدنى يا إلهى . .

وضغط بشدة على السيف ، وكأنه يزيد من قدرته على الحفر، وهنا رأى فوهة الحفرة من جديد فأحس كأنها قد كتبت له النجاة . . وفكر فى طريقة جديدة للخروج فلاشك أن الجدران الرملية يمكن أن تنهار من جديد ولا توجد وسيلة للخروج من هنا سوى أن ينادى أبناء الوادى لمساعدته ، لكن كيف يناديهم وهم الذين حفروا له تلك الحفرة ؟

لم يعرف أن الأمور قد تطورت إلى حد خطير . وأن أبناء الوادى قد وصلوا فى تلك اللحظات إلى حيث يوجد زعيمهم « كبير المتفرجين » انه الآن فى أشد حالات الغضب . وقد جلس فوق مقعده الخشبي يضع على رأسه سماعة لا يسمع فيها شيئا وأمامه جهاز تليفزيون لا يعمل وبجانبه ألوم صور راح يتفرج فيه . . فاكتشف أن الصور قد اختفت .

لمع الغضب فى عينيه ونظر إلى « حازم » وهو مقيد فى الأحبال وقال له :

- سوف تدفع الثمن غاليا . إلقوه فى الرجل .

إلتفت حازم إلى قدرة كبيرة من الفخار بداخلها سائل أسود
يغلى وسمع «كبير المتفرجين» يكمل :
- هذا جزء من يقترب من وادينا ويأخذ منا كنوزنا . .
وصرخ حازم صرخة عالية مناديا : أيها الفارس . . إلحقنى . .
لكن فجأة حدث شيء لم يكن فى الحسبان .

(٣٧)

أطرق « كبير المتفرجين » بأذنيه نحو الأفق وأشار لرجاله أن
يتوقفوا وقال :
- أحس أننى أسمع صوتا جميلا . .
ثم سكت ، وكأنها يحاول أن يرصد من أين يأتى الصوت العذب
إلى سمعه . هتف :
- إنه فى الحفرة . . اخرجوه بسرعة قبل أن تدفنه الرمال .
وأسرع الرجال الذين يرتدون زى سكان الغابات البدائية نحو
الحفرة الرملية ، وراحوا يلقون بالأحبال كى يساعدوا الرجل الموجود
بأسفل على الصعود ، وعندما تمكن العجوز من الخروج راح يسعل
بشدة مما أثار إشفاق هؤلاء الرجال . . لدرجة أن شخصا مده بأناء
من الفخار أمسكه العجوز ، وتجرع رشفة وهو يقول :
- هذه أحلى مياه شربتها فى حياتى . .

قال له أحد الرجال : وأنت صاحب صوت جميل . . نحن لدينا زعيم يتذوق كل شىء جميل . ولذا فهو المستمع الأكبر أو المشاهد الأكبر . . إنه رجل يقدر الجمال . .

ثم راحوا يسوقونه نحو الزعيم الذى نزل عن عرشه . . وراح يحتضن العجوز، بينما غمرت الفرحة وجه حازم ، وأحس أن هذا المأزق الذى تعرض له سرعان ما يزول ويتهى . قال كبير المشاهدين :

— أنت صاحب صوت عذب . . وأنا احترم الأصوات الجميلة . . لكن لماذا تسرقون كنوزنا . .

قال العجوز وقد فهم ما حدث :

— نحن لم نسرق شيئا . . وإن كنا نعرف اللصوص . .

أشار الزعيم إلى أرجاء الوادى وبدا كأن حماسا استبد به وقال :

— انظر إلى هذا الوادى ، انه مليئ بالذكريات . بالأشياء

الجميلة ، الصور ، والتسجيلات ، وقد سرق اصدقاؤك اللصوص منا شيئا ثميناً . .

قال العجوز محاولا الدفاع عن نفسه :

— نحن نعرفهم ولكنهم ليسوا أصدقاء . .

نظر الرجل بغضب إلى العجوز وقال : مادمت تعرفهم فانتم

أصدقاء . .

ثم حاول أن يغير من لهجته وبدا رقيقا وهو يكمل : أو هكذا
أتعامل معكم . . اسمع يا صاحب الصوت الجميل ، صحيح أن
أجدادنا كانوا من آكلى لحوم البشر . . وأنا يمكن أن نصبح مثلهم
لوفقدنا ذكرياتنا الجميلة لكننا تغيرنا . . بعد أن عهدنا لذة
السماع ، والمشاهدة .

بدا كأنه يشرح الموقف للعجوز الذى تأثر كثيرا لما رآه وسمعه
فهؤلاء القوم من آكلى لحوم البشر، قد فقدوا وحشيتهم بعد أن
عشقوا الأغنيات الجميلة والموسيقى العذبة وأصبحت لديهم كل
هذه الكنوز السمعية والبصرية . .

سكت الرجل قليلا ، وأشار إلى حازم الذى لا يزال مقيدا قريبا
من القدرة التى تغلى فيها المياه ، وقال :
— إذا لم يعد الألبوم المسروق . . فسوف نعود آكلى لحم البشر
وسوف يكون هذا الصغير أول ضحية لنا .

(٣٨)

إن الفرحة العارمة تستبد به . .
وقف فوق أعلى التل وقد امسك الألبوم بين يديه وراح يتأمل
فيه . هذا الألبوم يضم أكثر الأشياء التى يكرهها هذا ، « الشبح
الأزرق » . وذلك لما به من صور تسجل لحظات البشرية الخالدة ،

خاصة منذ أن عرف البشر أول صورة ، منذ أن رسم الفنان البدائي على جدران الكهوف ومنذ أن سجل «القدماء المصريون» كافة مظاهر حياتهم الخاصة والعامة على جدران المعابد وعلى المسلات ، وأيضا في المقابر ، ومنذ أن نحت الرومان أجمل التماثيل ومنذ أن عرف الفنانون كيف يلونون اللوحات ، عندما وقف مايكل انجلو فوق سقالة ليرسم أجمل لوحات البشر على جدران وسقف كنيسة سكستين منذ خمسة قرون ، وايضا هناك اجمل لوحات الفنانين الكبار مثل روبنز وجوبا وسيزان .

نظر «الشبح الأزرق» إلى صورة أثارت غيظه ، وقال :
— كم أكره هذه الصورة كثيرا ، إنها أول صورة تم التقاطها بواسطة كاميرا . .

يعرف أنه منذ أن تم التوصل إلى الصور الفوتوغرافية كان ذلك إيذانا باكتشاف كافة الاختراعات الكبرى في العصر الحديث فعندما تحركت الصور أمكن اختراع السينما ، وبعد ذلك ظهر الراديو والتلفزيون ثم جاء الفيديو والأقمار الصناعية .

هتف «الشبح الأزرق» وقد ظهرت كلماته على الشاشة المعلقة على صدره :

— اشعلوا النيران ، سأحرق هذا الألبوم بنفسى .
وسرعان ما أشعل الجنود الزرق النيران واقترب منها «الشبح

الأزرق » وهو يحمل الألبوم الذى سرقه من وادى الذكريات ، إنه يعرف أن حرق هذا الألبوم سيساعد فى مسح الذاكرة الخصبة لدى البشر أجمعين ، وليس فقط لدى أبناء المدينة المنكوبة ، فهذا الألبوم دليل أكيد على أن من ابرز منجزات العصر هو ثورة الاتصال مما جعل العالم كله أشبه بقرية صغيرة لدرجة أن أى شىء يمكن ان يحدث الآن فى أى بقعة من الأرض ، ينتقل بأسرع ما يتصور الناس إلى كل الدنيا من خلال الأقمار الصناعية ، بل إن الأمر وصل إلى حد أن الناس شاهدت وقائع الحروب على الشاشة والمعارك فى أشدها .

رفع «الشبح الأزرق » الألبوم إلى أعلى ، وطوح بالألبوم فى الهواء راميا به إلى النيران الشديدة التى يمكنها أن تلتقطه وتلتهمه فى ثوان عديدة وهو يشعر بالسعادة تغمره لأنه سيتخلص من هذا الكنز البشرى الثمين .

(٣٩)

تطلعت عيون الجنود الزرق إلى الألبوم الثمين ، وهو يرتفع فى الهواء ، ثم وهو يتجه بكل قوة نحو النيران ، ولملت العيون الحمراء من السعادة بينما غمرت الفرحة « الشبح الأزرق » وهو يرى أن مغامرته قد انتهت تقريبا لصالحه .

لكن فجأة انقبض قلبه بشدة ، وانتفض وراح يمسك سيفه واستله من مكانه ، وأشار إلى جنوده كأنه يقول :
- اقتلوه . . لقد جاء إلى مصيره بنفسه .

لم يصدق عينيه الحمراويين وهو يرى خصمه اللدود «الفارس النادر» يقفز بكل مألديه من قوة نحو الألبوم ويلتقطه قبل أن يلمس النيران .

وفي سرعة البرق استل الفارس سيفه ، ووقف وسط دائرة صنعها الجنود الزرق الذين استعدوا لمبارزته ، بينما ضم الألبوم إلى صدره بيده اليسرى وفي لحظة واحدة هجم الجنود نحو الفارس بسيوفهم .
وكانت المفاجأة ، فسرعان ما كبر نصل السيف وخرجت منه زوائد صغيرة قرابة ثلاثين سيفاً صغيراً ، راح يطيح بسيوف الخصوم ، ويسقطها فوق الأرض ثم صاح غاضباً :
- سأقاتلكم بيدي إذا لزم الأمر . .

وكانت المفاجأة أن الجنود قد تكتلوا معاً واستعدوا لمواجهة «الفارس النادر» بعد أن أعاد سيفه إلى مكانه مرة أخرى ، وبينما ارتد «الشبح الأزرق» للخلف وهو يشير إلى جنوده أن يرتموا على الفارس .

بدوا كأنهم مدربون جيداً لتلك القفزة المباغته التي قاموا بها حيث تكتلوا فوق خصمهم بأجسامهم الثقيلة ، وكأنهم سيفتكون

به ، ووجد «الفارس النادر» وقد علتة كتلة من الأجساد الزرقاء ،
وحاول أحدهم أن يخنقه ، أما الآخر فحاول أن يسحب السيف ،
بينما حاول ثلاثة آخرون أن يمنعوا يده اليمنى من الحركة .
وتصوروا أنهم قاموا بشل حركته ، بينما وقف «الشبح الأزرق»
يعلن على طريقته الخاصة :

-رائع . . مزقوه إربا . . حانت نهايتك يا نادر . .
وهنا أخرج سيفه المعتم وانتظر اللحظة المناسبة كى يغرسه في
صدر خصمه فكم تمنى أن يأتى اليوم الذى يتخلص منه . .
وهاهى جاءت اللحظة وحان وقت الانتقام لكافة المغامرات
السابقة .

(٤٠)

فجأة طارت كل هذه الأجسام الزرقاء فى الهواء . .
فقد استجمع «الفارس النادر» قوته الخارقة ، واستطاع أن يدفع
عنه كل هذه الأجسام التى تراكت فوقه وفى لمح البصر سقط
الجنود فوق زعيمهم «الشبح الأزرق» ، وبكل سرعة وقف «الفارس
النادر» فوق الأرض وهو يشهر سيفه ، ولكنه لم يكن فى حاجة أن
يفعل ذلك فقد بدا الجنود الزرق بلا حول أو قوة ، أما «الشبح
الأزرق» فقد أشار له بيده ، وقال :



- صدقنى . لم أقصد إيذاءك . . هم السبب . انت تعرف . .
وغالب «الفارس النادر» ابتسامة فرضت نفسها عليه من موقف
«الشيخ الأزرق» ، إنه فى حال يرثى له ، ثم راح يطوح بسيفه فى
الهواء أعلاهم مباشرة ، كأنه يؤكد لهم أنه قادر على التخلص منهم
فى أى لحظة .

بعد دقائق قليلة تأكد تماما أنه قد ملك زمام الأمر ، فهاهم
الجنود الرزق مقيدون جميعا مع زعيمهم فى قيد حديدى لن يمكنهم
أبدا أن يفكوا هذا القيد مهما كانت قوتهم أو قوة من يساعدهم . .
ثم استعد «الفارس النادر» للإسراع نحو وادى الذكريات من أجل
أن يلحق بحازم قبل أن يلحقوا به فى مرجل المياه الملتهبة . ويلتهموه
فما أسوأ أن يعود المرء إلى سيرته الأولى بعد أن أصبح متحضرا . .
وهناك كانت الفرحة الغامرة . .

لم يصدق «كبير المتفرجين» أن ألبوم الذكريات قد عاد إليهم
ثانية . . راح يتصفح فى إعزاز ويردد :

- لن نفرط فيه قط . . إنه أعظم مانملك . .

سأله حازم وهو ينظر إلى الرجل الملىء بالمياه الساخنة :

- هل كنتم ستضعوننى هناك . .

هز الرجل رأسه بالإيجاب وهو يتمايل مع الموسيقى التى بدأت
تنبعث من جديد فى السهاعة المعلقة على أذنه :

- طبعاً . . عندما نفقد الذاكرة فلا نعرف المزاح .
لاحظ أن « حازم » قد تضايق قليلاً ، فالتفت إليه وهو ينظر إلى شاشة التلفزيون التى تبث برنامجاً جذاباً يدور فى إطار مسابقة عن
لمعلومات العامة وقال :

- لكننا الآن سعداء ، وسنشرك فى سعادتنا . . خذ . .
ومد له بشريحة فيلمية ، وقال :
- هذه الشريحة تضم كافة الصور الموجودة فى الألبوم ، إنها
سطوانة كومبيوتر وميكروفيلم فى نفس الوقت . .
ابتسم « حازم » وراح ينظر إلى العجوز ، وسأله :
- هل هذه هى ماجثنا من أجلها ؟
هز العجوز رأسه ومط شفتيه ، وقال :

- نعم هذه هى واحدة من الحلقات الهامة التى يمكن أن تعود
بها مدينتكم إلى حالتها . . عندما ستصل إلى هناك ستعود من
جديد مدينة للراحة . .

وأسرع الصغير نحو العجوز وارتمى فى أحضانه وهو يبكى ، لم
يصدق نفسه ، وسمع العجوز يقول له :
- هيا ، فوراءك مهمة شاقة والرحلة غير سهلة ، وستقطعها
وحذك . . مفهوم ؟

نظر إليه الصغير وهو يمسح دموعه . الآن لقد تغير « حازم »

كثيرا وأحس انه كبر خلال هذه الأيام الخمسة ما يعادل خمس سنوات كاملة بل ربما أكثر بكثير ، فهو الآن يعشق المغامرة وقادر أن يكون مسئولاً عن توصيل الأسطوانة إلى مدينته في أسرع وقت ممكن . هنا راح يصافح العجوز ، وقال :
- أتمنى أن ألقاك قريباً . . في مغامرة جديدة . .
ثم أسرع إلى الطريق بعيداً عن وادي الذكريات في طريقه إلى مدينة « الراحة » .

رقم الايداع : ١٩٩٦/٧٨٩٤
I.S.B.N. 977 - 09 - 0345 - 0

مطابع الشروق

القاهرة : ٨ شارع سيويه المصرى - ت: ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس: ٨١٧٧٦٥ (٠١)

خيال X خيال

اقرأ فى هذه السلسلة

- أبواب المستحيل الخمسة
- اختطاف قوس قزح
- الهروب من وادى الهلاك
- جسر الأمل
- سر المتاهات العجيبة
- مغامرات النشاط العجيب